20 me année No 1011
Le Caire 17 — 11 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
AL RISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

يا لجراحات الوطن الاسلامى!

للأستاذ سيد قطب

تمثل فرنسا على مسرح الشمال الافريقى فى هذه الأيام أبشع مآسى « الرجل الأبيض » حتى إذا تحركت الكتلة العربية الآسيوية لتحول بين فرنسا وبعض شناعاتها فى هذه الرقعة من الأرض ، وقف موسيو روبير شومان وزير الخارجية الفرنسية ينذر وزير الخارجية الأمريكية بأن فرنسا سترفض التصديق على معاهدة الصلح الألمانية وتوقيع ميثاق الدفاع عن غرب أوربا ، كما ستنسحب من حلف الأطلنطى إذا أيدت الولايات المتحدة التونسيين والمراكشيين فى الأمم المتحدة

وحق لفرنسا أن تهدد أمريكا . فهى تعلم أن أمريكا غير جادة فى نصرة قضية تونس ومراكش ، ولكنها تضحك على ذقون العرب والمسلمين حين تتظاهر بتأييدهم فى قضاياهم ضد الاستعمار الأوربى . ولو كانت جادة لوجدت الوسيلة ، فإن فرنسا وإنجلترا تعيشان عالة على أمريكا . ولو أمسكت عنهما المدد لأفلستا . فهى تملك إذن أن تصنع شيئا لو أرادت ، ولكنها لا تريد

واللعبة الأمريكية فى موقفها هذا مكشوفة .. إنها تدع فرنسا تهدد وتخضع لهذا التهديد الوهمى ، الذى ما كانت فرنسا لتقدم عليه لو أنها تعلم أن أمريكا صادقة النية . . كذلك تستخدم دول أمريكا اللاتينية للغرض نفسه فتوحى إليها أن تعارض أى نص قاطع يؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال . ليكون ذلك تكأة لأمريكا فى التراجع !

وقد صرح رئيس الوفد الإندونيسى بأن أعضاء الكتلة العربية الآسيوية التى تعمل لوضع مشروع قرار بتشكيل لجنة معظم أعضائها منهم ، قد تخلوا عن الفكرة الأولى التى تقتضى بأن يتضمن مشروع القرار فقرة تؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال وذلك خشية عدم تأييد دول أمريكا اللاتينية للقرار ، إذا قدم متضمنا هذه الفقرة ...

ووراء هذا كله أمريكا . فقد صرح مستر فيليب جيسوب رئيس الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم بأن الولايات المتحدة تحاول إقناع الكتلة العربية الآسيوية بعدم التطرف فى عداء فرنسا وأنه « سعيد » لأن أعضاء هذه الكتلة قد بدأوا يتراجعون عن موقف التطرف الشديد فى عدائهم لفرنسا ! وقال كذلك : إن الولايات المتحدة تريد أن يكون مشروع القرار الذى سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلا بحيث يقتصر على مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات !

هذه هى المأساة التى تمثل فى هذه الأيام على مسرح هيئة الأمم بمعرفة أمريكا والاستعمار الأوربى . ومع ذلك فنحن ببلاهة منقطعة النظير نقف لننتظر العون الأمريكى الذى يخلصنا من

الاستعمار الأوربي !

إننا ننسى أن العالم الأوربي والعالم الأمريكي يقفان صفا واحدا بإزاء العالم الإسلامي . والروح الصليبية القديمة هي هي ما تزال . إننا ننسى هذا لأن فينا مغفلين كثيرين ومغرضين كثيرين يضللوننا ، وينشرون دعاية مغرضة عن رغبة أمريكا في إنصاف الشعوب المستعبدة ، ومساعدة الشعوب المتأخرة . . ومع أننا ذقنا الويل من أمريكا في فلسطين ، فإن أجهزة الدعاية الأمريكية تعمل . و« جمعية الفلاح » تظهر في الميدان ، وتقوم بواجبها !

إن جراحات العالم الإسلامي تنبض بالدم في كل مكان وأمريكا واقفة تتفرج . بل تساعد المستعمر الأوربي القذر . ومع هذا توجد صحف ويوجد ناس . ناس مصريون ومسلمون ، يتسمون أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . . يتحدثون عن تمثال الحرية في ميناء نيويورك ، وعن فرنسا أم الحرية !

وأحيانا يسألك بعض المتخاذلين أو بعض المدسوسين : وماذا تملك أن نصنع ونحن ضعفاء ؟

ماذا نصنع ؟ إذا لم نستطع أن نحطم الكف التي تمتد إلينا بالسوء ، فلا يجوز أن نقبلها . ونحن نقبل الكف التي تصفعنا !

إذا لم نستطع أن نصنع شيئا ، فلنحتفظ على الأقل بأحقادنا المقدسة ، ولنورثها أبناءنا ، فقد يكونون في ظروف تمكنهم من رد الجميل للرجل الأبيض !

إن الرجل الأبيض يدوسنا بقدميه ، بينما نحن نحدث أولادنا في المدارس عن حضارته ومبادئه العالية ومثله السامية !

إننا نغرس في نفوس أبنائنا عاطفة الإعجاب والاحترام للسيد الذي يدوس كرامتنا ويستعبدنا !

فلنحاول أن نغرس بذور الكراهية والحقد والانتقام في نفوس الملايين من أبنائنا . ولنعلمهم منذ نعومة أظفارهم أن الرجل الأبيض هو عدو البشرية وأن عليهم أن يحطموه في أول فرصة تعرض . ولكن واثقين أن الاستعمار الغربي سيرتجف حين يرانا نبذر هذه البذور

إن هذا الاستعمار هو الذي حاول أن يغرس في نفوسنا حبه واحترامه . فلما خشي اليوم أن نستيقظ اخترع حكاية « اليونسكو » ودعا هذا « اليونسكو » إلى حذف كل ما يثير الأحقاد القومية في دراسة التاريخ . وذلك باسم الإنسانية والإخاء البشرى !

وهذه لعبة استعمارية جديدة يجب أن نتنبه إليها . إننا إذا اتبعنا تعاليم اليونسكو فسنخدر كل شعور قومى ناهض . ولن يستفيد من هذا التخدير سوى الاستعمار . وهذا ماتقصد إليه هيئة اليونسكو !

إن أوربا وأمريكا دول مستعمرة . فاذا عليها من حذف كل ما يثير الأحقاد القومية في دراسة التاريخ ؟ إنها تكسب بهذا ولا تخسر شيئا . أما نحن فإن الاستعمار يخنقنا . فإذا لم ننبه شعور الحقد عليه فقد خسرنا السلاح الأول وخسرنا المعركة كلها . .

ومع هذا فإن عندنا مصريين مسلمين يتسمون : أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . يعملون في مصر باسم «اليونسكو» وينشرون الأضاليل ، ويخدعون أمتهم ، ويحاولون تنويمها باسم الإخاء الإنساني !

إن جراحات الوطن الإسلامي دامية في كل مكان ، فلا أقل من أن نحتفظ بالكراهية والحقد لمن يدميها . أما مبادئ اليونسكو الجميلة فنحن على استعداد لاعتناقها يوم يتقلص ظل الاستعمار الأسود عن أوطاننا الدامية الجريحة

لقد عرفنا نحن مبادئ الإخاء الإنساني قبل اليونسكو بأربعة عشر قرنا . عرفناها وطبقناها ، على أنفسنا وعلى سوانا . ولم نجعلها خدعة ولا فخا ، كما يجعلها الرجل الأبيض . فهذه المبادئ ليست جديدة علينا . ولكن ديننا الذي جاء بها مبكرا جدا ، علمنا كذلك أن نقاتل من يعتدى علينا ، وألا نأمن له ولا نستنيم ، وأن لا نسالم أحدا يعتدى على شبر واحد من الوطن الإسلامي ، أو يناهض العقيدة الإسلامية ويؤذى معتنقيها

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »

والرجل الأبيض — سواء كان ذلك في أوربا أو أمريكا أو روسيا — يقاتلنا في الدين ، ويخرجنا من ديارنا ، ويظاهر على إخراجنا . ومع هذا يوجد ناس مسلمون يتسمون : أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى ... يوالونهم ، ويروجون دعاياتهم ، ويمكنون لهم في رقابنا . ثم يحاولون أخيرا أن يخدروا أحقادنا

القدسة . حتى هذه الأحقاد التي يجب أن نورثها أبناءنا على الأقل مع العار الذى سنورثهم إياه ، لو تركنا جراحات الوطن الإسلامى تدمى فى كل مكان ، ونحن لا نصنع شيئاً

إن فرنسا تمزق جسم الوطن الإسلامى فى تونس والجزائر ومراكش ، وإنجلترا تقوم بدورها فى مواضع أخرى ، وأمريكا من خلفهما تبدو تارة وتتوارى .. هذا ما يجب أن نذكره صباح مساء ، وما يجب أن نلقنه أبناءنا بكرة وعشيا

سيد قطب

بمناسبة الذكرى الثالثة

على طه وبيرون

للأستاذ أنور المداوى

هكذا (١) كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين . لقد كانت تلك الحياة فى رأيه أو رأى شعوره هذرا وتفاهات ، لأنها قد خلت مما يبهج القلب ويؤنس الروح وغدت وهى دموع وزفرات ؛ وجوهر شخصيته كما قلنا لك أنه لم يخلق للقيود وإنما خلق للحرية ، ولم يخلق للدموع وإنما خلق للبسمات .. وما كان أشبهه بالشاعر الإنجليزى « بيرون » فى هذه الناحية النفسية أو فى هذا المجال ؛ لقد كانت الفكرة السائدة عند بعض كتاب التراجم عن هذا الشاعر هى هذه الفكرة المنحرفة حين يقولون : « لقد كانت طبيعة بيرون الحقة أنه إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وأنه إذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وأنه قد ظل على هذا الحال طوال حياته فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأجدرها بالخلود ! »

ولقد صححنا تلك الفكرة المنحرفة فى الصفحة الثالثة والأربعين من كتابنا « نماذج فنية » ، حيث ورد فى معرض السؤال هذا الجواب : « هذه الفكرة تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . إن الألم فى حياة الشاعر الإنجليزى لم يكن ألما بالمعنى المفهوم عند الشاعر الألمانى ، ولكنه كان لونا من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هذا التحرر كانت تنبعث أغانيه حلوة عميقة صادقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحوا والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة ساخطة ، ثائرة ، تشكو هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء !

من هذه الكلمات الموجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . يقول بيرون : لقد هببت من نومى ذات صباح فألفيتنى مشهورا يتردد اسمى على كل لسان . قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى الناشرين فدفعوا به إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلد هارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! لقد جادت قريحته الوثابة بهذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به العباب إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة .. الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيرا ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلد هارولد » ! إن الطبائع الفنية معادن : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج

(١) فصل من الفصول الجديدة فى كتاب أعده المؤلف للطبع ، عن حياة الشاعر وشعره .. أما بداية الحديث هنا فتعلقة بنهاية الفصل السابق حيث ورد هذان البيتان من قصيدة فى « بحيرة كومو » :

شاعر النيل طف بهـا غنها كل مبتكر
الثـلاثون قـد مضت فى التفاهات والهذر !

فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه أو يسطع إذا ما انتقل من حال إلى حال ! »

فى هذه الناحية النفسية تتفق طبيعة شاعرنا المصرى وطبيعة الشاعر الإنجليزى على التحقيق . . كلاهما سخط على الألم كل السخط ، وعشق اللذة كل العشق ، ووزن أيام الحياة بما فيها من متعة الحس والنفس حيث تقوم الحياة فى رأيه بكل عيد من أعياد الشعور . . تتفق الطبيعتان هنا وبلتقى المزاجان ، ولكن خط السير نحو الغاية المنشودة يختلف عند على طه عنه عند بيرون ، تبعا لاختلاف البيئة والنشأة وأثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية ! لقد كانت المرأة مثلا تشغل حيزا كبيرا من حياة الشاعرين وفنهما على حد سواء . ولقد طاف كلاهما بالجسد الأنثوى ذلك الطواف الذى يطالعك من شعره فى صورته القوية العارمة ، حتى ليخيل إليك أن مفاتن هذا الجسد كانت هى الكوى الشعورية التى نفذ منها إلى تذوق الحياة . . كان شعورها نحو المرأة هو هذا الشعور ، ولكن شتان فى الإعجاب بها بين نظرة ونظرة وفى الوصول إلى حقيقتها بين طريق وطريق !

لقد انحدر بيرون من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناء عن آباء ، حتى لقد خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة وانحراف النشأة . . كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، ثم لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الفتى الجيل الدلل الذى لا يمد عينيه أبدا إلى الأمام ؛ الفتى الذى لا يتحرج عند جموح الشباب وسطوة الغريزة من أن يحطم فى سبيل شهواته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! كان إذا ماتردى فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد عشاق هذا الفن ومريدوه . . إنها لحظات الصفاء بالنسبة إلى رجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الشريرة الجامحة فى شخص « أوجستا » أخته من أبيه ! ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » وهى القصة الشعرية التى تصور طبيعة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو حقيقة الهوى الآثم بين «أوجستا» و «بيرون» كما نقلتها إلينا أصدق الأخبار والروايات . . صحيح أنه سجل ألم النبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك ؛ يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

ولم يكن على طه فى علاقته بالمرأة أو فى نظرته إلى الجسد الأنثوى من هذا الطراز . لقد كان طرازا آخر بلا مراء ، أوصورة أخرى ستعرف على التحقيق ألوانها النفسية فيما يلى هذا الفصل من دراسة تحليلية (٢) . . إن هذا المثال المستخلص من حياة الشاعر الإنجليزى ، قد قصد به الإشارة إلى اختلاف خط السير عند الشاعرين تبعا لاختلاف البيئة والنشأة كما قلت ، أو تبعا لاختلاف أثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية . وتبقى بعد ذلك نقطة الالتقاء بين على طه وبيرون فى زاوية واحدة تحددها الشابهة بين طبيعتين ؛ تلك المشابهة التى تضع بين أيدينا المفتاح الحقيقى لجوهر الشخصيتين فى لقاء الحياة ، وهو أن كليهما لم يخلق للألم وإنما خلق للذة ، ولم يخلق للدمعة وإنما خلق للابتسامة ، ولم يخلق للقيد وإنما خلق للتحليق شأن كل طائر طليق !

ولقد عاش على طه فترة من حياته فى ذلك الجو الرومانسى الذى تلوذ فيه النفس بالوحدة وتأوى إلى العزلة وتستشعر قسوة الاغتراب ، وتلك الفترة التى عاشها شاعرنا كانت فى حساب الزمن نصف ماقدر له من أيام الحياة . . ولقد مرت على بيرون من ذلك الجو الرومانسى لحظات ؛ لحظات وإن كانت عابرة إلا أنها عكست على بعض فنه خصائص ذلك الجو كما تبرزها فى الأعم الأغلب أشعار الرومانسيين . لقد عرف على طه فى حياته تلك الرومانسية الوجودية التى استحالت فى شعره الأول إلى رومانسية فنية وكذلك عرفها بيرون ، ولكنهما على اتفاقهما فى هذه

(٢) هذه الدراسة التحليلية المطولة خص بها المؤلف مجلة « الآداب » البنانية التى ستصدر فى الغد القريب عن « دار العلم للملايين »

الظاهرة يختلفان فى التعرض لها والتأثر بها بعض الاختـلاف ، سواء أكان ذلك فى مجال الشعور أم فى معرض التعبير .. وهنا كما كان هناك ، يلتقى الشاعران فى النهاية ولـكنهما يفترقان فى خط السير نحو هذه النهاية حيث يمضى كل منهما فى طريق !

ارجع فى باب « الدراسـة الفنية » لشعر على طه إلى قصيدة « الله والشاعر » ، لترى أننا قد سجلنا حول تلك القصيدة هذه الـكلمات : « هذه الواقعية النفسية الوجودية التى تسير فيها لفتة الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هى التى تطالعنا من قصيدة « الله والشاعر » .. وهى واقعية تمثل القسط المشترك من الحقائق الـكبرى المتبادلة تبادلا كونيا بين الله والإنسان ، وهى حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة فى قرار الذهن البشرى منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنسانى يفكر فى واقع هذا السير الطويل فى طريق الحياة ، ويناقش علة وجـوده وغاية بقائه وما بعد فنائه ، هناك حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلا فى عالمى الثواب والعقاب .. ونقول الجزاء الحق أو غير الحق ، مادامت هناك صيحتان تؤمن إحداهما بأن الإنسان لا يملك أمام القوة العليا شيئا من أمر نفسه ولا من أمر دنياه ، وإنما هو يدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويسير فيسير ، وأنه تبعا لهذه القدرة المسلوبة والحرية المفقودة لا ينبغى أن يجزى على سيئاته إذا أساء ، فإن جزى عليها فهو جزاء غير عادل ! إيمان بهذا كله تفصح عنه هذه الصيحة التى تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر ، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيرا من أمر نفســه ومن أمر دنياه ، فهو قابض على الزمام لا يفلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لا ينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لا يحيد عنها إلا بمحض هواه ؛ فهو مخير تركت له الحرية فإذا أساء فهمها فعليه أن يتقبل ما أعد لمن جزاء ، وأنه لجزاء يتسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحـاب الصيحتين الخالدتين فإن مكانه هناك مع الفريق الأول .. هو معهم فى اتفاق النظرة واتجـاه الفكرة ولـكنه يفترق عنهم فى احتفاظه بإيمانه الذى لا تودى به كل تلك العواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الـكبرى من زاويتين : الأولى ليـدافع عن الـكيان الإنسانى أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدما فى دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذى يعرض القدمات عرضا شعريا ترتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيها الفكر . والثانية ليعبر عن حريته البالغة وحـيرة القافلة الإنسانية وهى تتخبط فى صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل فى رحاب الواحة الإلهية ، فرارا من وطأة القيظ ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة ، وبين الأنين والحنين ، وبين العذاب المهذب والخضوع العميق .. وهو آخر الأمر معذب لا يدرى أين يستقر ولا إلى أى وجهة تمضى به قدماه : خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ، ولـكنه فى غمرة تلك التيارات النفسية المتباينة ضارع مبتهل لا يشك أبدا فى رحمة الله » !

هذه الأفـكار والمشاعر التى طاف حولها عقل شاعرنا وقلبه هى فى حقيقتها أثر من آثار ذلك الجو الرومانسى الذى عاش فيه ؛ وهى نتيجة مباشرة لظروف الوحـدة النفسية والعزلة الروحية والانفراد الذاتى كما تمهدها فى حياة الرومانسيين ، هناك حيث يدفع الإنسان دفعا إلى إطالة التأمل فيا حوله من حقائق الـكون وغاية الوجود ومصير الركب الإنسانى بعد انتهاء الحياة ؛ ومثل هذا التأمل لا بد أن يفضى بصـاحبه آخر الأمر إلى التعرض لموقفه وموقف الإنسانية جمعاء إزاء الخالق العظيم . هكذا فعل على طه فى قصيدة « الله والشاعر » وهكذا فعل بيرون فى مسرحية « قابيل » .. إن شخصية قابيل فى تلك المسرحـية الشعرية ما هى إلا إحدى شخصيات بيرون التى كان يصور معالمها بصدق وأصالة ، ليعبر بها عن حالة خاصة من حالات نفسه وهى معرضة لهزات الوجود ! اتفاق والتقاء ، ولـكن خط السير هنا مختلف كما قلت بعض الاختلاف عن خط السير هناك ، لأن هذه الشخصية « البيرونية » فى مسرحية « قابيل » ثائرة على الخالق سـاخطة على القدر متمردة على السماء ، تريد أن تبرئ الإنسـان من كل شر وفساد عرفتهما الأرض ، محاولة أن ترد

كليهما إلى تلك القوة العليا التي تسيطر على الكون وتوجهه إلى مصير معلوم . تحاول هذا ثم تدفعها الثورة العاصفة والعصيان الجامح إلى حد التخيل بأنها « إبليس جديد » ، جاء لينتقم للانسانية المظلومة من خالقها الذي لاتلق منه غير الظلم والعذاب .. وهي بعد ذلك تنتظر على يديه ألوانا من الحساب والعقاب !

ثورة عند بيرون ينتقصها التهذيب ويعوزها التبصر وتتشح بثوب التجديف ، وحيرة عند على طه لا تبلغ هذا المدى من التهور والتنكر والاندفاع ، لأنها حيرة لا تنتهي بصاحبها إلى التمرد ورفع راية العصيان ، وإنما تنتهي به إلى راحة نفسية مصدرها الخضوع والإذعان !

ولقد قلنا في سياق الحديث عن قصيدة « الله والشاعر » إن تلك القصيدة تمثل الواقعية النفسية خير تمثيل ، فكيف يتفق هذا مع القول بأنها من نتاج ذلك الجو الرومانتي الذي قضى فيه على طه أول العهد بالشباب ؟ كيف تجتمع « واقعية » و « رومانسية » في أثر واحد من آثار الفن دون أن يكون هناك شيء من التعارض والتناقض والشذوذ ، مصدره أن موازين النقد في أدب الغرب قد وضعت حدودا فنية « فاصلة » بين هذين اللونين من ألوان الأدب؟ سؤال مقصود لأن الجواب عنه كذلك مقصود ، ومن وراء السؤال والجواب نهدف إلى الكشف عن حقيقة المشكلة كما ينطق بها الواقع الملموس !

هل قرأت « آلام فرتر » لجيته ، و « رفائيل » للامرتين ، و « رينيه » لشاتوبريان ، و « أدولف » لكونستان ؟ هذه القصص الأربع يضمها النقاد في « خانة » القصة الرومانسية وهم يقسمون ألوان الأدب ومذاهبه تبعا لما يتسم به هذا الأدب من خصائص ومميزات ، يردونها عادة إلى شتى العوامل النفسية التي طبع بها العصر وتركت آثارها في كتابه ، بعد اتفاقهم على أن الأدب نتاج مجتمعه وثمرة بيئته ومرآة جيله التي تنعكس على صفحتها معالم ذلك الجيل . وتبعا لهذا التقسيم الفني الذي انتهى إليه النقد عرف الناس أن هناك أدبا رومانسيا وآخر واقعيا في عرف التسمية المذهبية ، وإن لم يستطع النقد في « واقع الأمر » أن يفصل فصلا تاما بين خصائص كل لون من ألوان الأدب وهو في خانته الفنية . لم يستطع النقد أن يوفق إلى تلك التفرقة الكاملة لأنه نسي أن بيئة الأدب في عصر من العصور لا يمكن أن تكون « خالصة » لطابع نفسي بعينه ، يلقي ظله الخاص على وجه ذلك الأدب دون أن يفسح مكانا لظل سواه ! لو فطنت موازين النقد إلى تلك الحقيقة لما وجدت بدا من التعديل في وضع الحدود الأخيرة للمصطلحات الفنية وتقدير خط السير لاتجاهات الأدب تقديرا نهائيا لا رجعة فيه ! إنك قد تقرأ قصة تمثل اتجاها رومانسيا في عرف النقاد وهي لا تخلو في بعض مواقفها من اتجاه واقعي هنا أو هناك ، ثم لا تجد في هذا شيئا من الغرابة إذا ما وضعت نصب عينيك هذه الحقيقة المادية ، وهي أن عصرا من العصور ينتج فنا من فنون الأدب ، لا يمكن أن يتسم بسمة شعورية واحدة تترك آثارها التعبيرية الواحدة التي تندرج في جملتها تحت عنوان ! هل نريد بذلك أن نلغي تلك المصطلحات الفنية التي اتفق عليها نقاد الأدب محددين بها اتجاهاته ومراميه ؟ كلا .. وإنما نريد أن نصحح وضعا هو على التحقيق يحتاج إلى تصحيح ، عندما نقرر مطمئنين أن تلك التحديدات المذهبية يعوزها شيء من التعديل ، عماده أننا إذا قلنا عن طابع عصر من العصور إنه رومانسي فيجب أن يفهم أننا نعني الطابع الغالب لا الطابع العام ، ونقصد المظهر البارز لا المظهر الشامل ، ونشير إلى السمات الرئيسية لا السمات الكلية ؛ وفي ضوء هذا التحديد يجب أن ينظر إلى ما كتبناه عن « طابع العصر » الذي قضى فيه على طه أول العهد بالشباب !

ونعود مرة أخرى إلى تلك القصص الرومانسية الأربع في ضوء هذا التحديد ؛ نعود إليها لنقرر أنها توضع أيضا في خانة الواقعية دون أن يكون هناك شيء من التناقض والشذوذ .. هي « رومانسية » إذا نسبت إلى الجو النفسي القاتم الذي كتبت فيه ، أو إلى الخصائص الفنية التي اصطلح عليها النقاد . وهي «واقعية» إذا نسبت إلى واقع الحياة التي كان يحياها أصحابها في ذلك الحين ؛ الحياة الذاتية التي تسجل حقيقتهم الإنسانية والتي قد

تنطبق على غيرهم من الناس . أليس هذا هو واقعهم النفسي في فترة من فترات العمر سجلتها في تلك القصص سطور وكلمات ؟ هو كذلك بلا جدال ، وإنه لواقع عصر في صورته النائبة لا في صورته العامة تبعا لما سبق من تحديد .. وفي هذا كله ما يفسر لك انتفاء التناقض في الجمع بين كلمتين : هما الواقعيـة النفسية والرومانسية الوجودية !

وفي معرض المقارنة بين شاعرنا المصري والشاعر الإنجليزي نقدم هـذا السؤال : هـل تأثر على طه في شعره بذلك الاتجاه الرومانسي الذي نلمحه عند بعض الشعراء الغربيين ومن بينهم بيرون ؟ سؤال مقصود أيضا لأن الجواب المنتظر عنه مقصود ؛ حين نفتح الصفحة الرابعة والستين بعد المائة والصفحة التي تليها من الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين فنجد هذه الكلمات : « ومن الكتاب من يقول إن شاعرنا تأثر بأبي العلاء ثم يضيق بهذا التأثر . ولست أدري أتأثر شاعرنا بأبي العلاء حقا أم تأثر ببيرون أم تأثر بهما جميعا وبقوم آخرين غيرهما أم لم يتأثر بأحد، وإنما لقي من لقي من الشعراء مصادفة وعلى غير قصد ولا عمد . وأحس أنا في قصيدة أخرى أسماها « غرفة الشاعر » روحا « لموسيه » ، ولكني لا أدري أهو روح الذي قرأ فتأثر أم هو روح الذي أحس فتألم ، فشكا فلقي موسيه في هذا كله أو في بعضه . ولست أتردد في الرضا عن هـذه القصيدة والحب لها والإعجاب بها . ولست أكره أن تشاركني في هـذا الرضا وأن تشاطرني هـذا الحب والإعجاب ، فاقرأ معي هـذه القصيدة وقف معي عنـد بعض أبياتها وقفات قصارا . . . هذه الصور المتتابعة المختلفة حسان كلها ، ولكنها بعيدة إلى حـد ما عن المألوف من حياة شعرائنا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالسهاد في غرفة يضطرب فيها نور ضئيل شاحب ، وتغنى فيها بقايا الجذوة في الموقد ، وكل هذا يألفه الغربيون ، وهو يذكر بموسيـه تذكيرا قويا . وبعض النـاس يعيب شاعرنا « بتغريب » الشعر ، أما أنا فأحمد له هـذا النوع وأراه تشريفا للشعر العربي ورياضة للذوق الشرقي وللغة العربية

على أن يسيغا ما لم يتعودا أن يسيغاه من قبل . وإذا كان لي أن آخذ الشاعر بشيء فهو ما قدمته من أن الأمر يختلط في شعره على القارئ فلا يدري ألقي زملاءه الغربيين والشرقيين مصادفة أم عن تعمد وسعي » !

إن السؤال مقصود هنا لأن اسم الشاعر الإنجليزي بيرون قد ورد في سيـاق الحديث الذي دار به الدكتور حول قصيدة « الله والشاعر » ، أما آثار بيرون الفنيـة التي لا « يدري » الدكتور هل لقيه فيها شاعرنا المصري مصادفة أم عن تعمد وسعي! أما تلك الآثار فلم يشر إليها بكلمة واحـدة تفصح عن حقيقتها حين يطلب إلى الدارسين مثل هذا الإفصاح . . ولا ندري نحن هل كان يقصد مسرحية « قابيل » التي ذكرناها عند المقارنة بين الشاعرين أم كان يطلق القول إطلاقا بغير تحديد ! إن غاية ما يقال هنا أننا قد تعرضنا لقصيدة علي طه ومسرحية بيرون ، وانتهينا إلى أنهما متفقتان في الهدف ولكنهما تفترقان في خط السير حتى ليذهب كل من الشاعرين في طريق . وما أبعد الشقة بينهما في حساب النقد الذي يلمس الفارق بين فكرتين قد اختلفت حولهما القيم الشعورية والتعبيرية !

لقد أدار الدكتور المفتاح مرة أخرى في ثقب الباب ولم يفتح ؛ أما ذلك المفتاح فلم يكن غير تلك العبارة التي ساقها وهو يفترض وجود شيء من التجاوب الفني بين علي طه وموسيه . . ترى أهو روح الذي قرأ فتأثر ، أم هو روح الذي أحس فتألم ، فشكا ، فلقي موسيه في هـذا كله أو في بعضه ؟ إن الدكتور هنـا أيضا لا « يدري » ولا يستطيع أن يقطع برأي لأنه لا يملك الدليـل . . والدليل الذي يعوز الدارسين كما قلنا ونحن نتحدث عن هـذه القصيدة في باب الدراسة المذهبية مرجعه إلى عدم الإحاطة بظروف الحياة التي تنتج الفن ، وتضع بين أيديهم أداة الربط بين شخصية الكاتب وما كتب أو بين شخصية الشاعر وما نظم وتحول بينهم وبين السؤال الذي يبقى بلا جواب ! لو رجع الدكتور إلى حياة شاعرنا فيما قبل الثلاثين كما استعرضناها في الفصلين السابقين ، لأدرك أن الشعور بالحزن في « غرفة الشاعر » أو الشعور بالحيرة

فى « الله والشاعر » كان طبيعيا لا أثر فيه للتقليد والمحاكاة ، وأن ذلك الروح الذى أحسه فى هاتين القصيدتين كان روح الشاعر الذى تحير فى صدق فالتقى فى حيرته عن غير قصد مع بيرون ، وتألم فى صدق فالتقى فى ألمه عن غير عمد مع موسيه

. . إن التشابه بين إنتاج الرومانسيين أمر لا غرابة فيه ولا موضع للدهشة وافتراض الفروض ، لأن الأجـواء النفسية التى حلقوا فيها بالشاعر وجالوا بالخواطر كانت متشابهة أو كان التوافق بينها جد قريب ؛ ومن هنا لا يجوز لنا أن نسأل عن تلك العلاقات التأثرية بين أصحاب الآثار الرومانسية ، إلا إذا استطعنا أن نثبت وجـود شئ من تلك العلاقات بين جيته فى « آلام فرتر » ولا مرتين فى « رفائيـل » ، وكونستان فى « أدولف » ، وشاتوبريان فى « رينيه » !

ولقد قلنا إن مشكلة التفكير الإنسانى فى المصير وما يتعلق بها من بحث حول « شرعية » الثواب والعقاب مشكلة قديمة ، ومما لا شك فيه أنها قد سبقت بقدمها أفكار هؤلاء الذين تعرض لهم الدكتور فى حديثه وخص منهم بالذكر شاعرين هما بيرون وأبو العلاء . . وإذن فلا مبرر للتساؤل عما إذا كان على طه قد تأثر بهذين الشاعرين فى قصيدة « الله والشاعر » لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى سؤال !

إن المشكلة قديمة وجديدة فى وقت واحـد لأنهـا مشكلة الأمس واليوم والغد القريب والبعيد ، مادامت هناك فترات قلق تمر بحياة الإنسانية المفكرة الشاعرة وتدفعها إلى إطالة التفكير فيما وراء هذه الحياة . . هل نحن مسيرون ؟ هل نحن مخيرون ؟ هل نحن أصحاب إرادة فيما نقدم عليه من عمل أم أننا مجرد أدوات بين يدى قوة خفية توجهها كيف تشاء ؟ أسئلة تعرضت لها الأجيال الماضية وتتعرض لها الأجيال الحاضرة وسوف تتعرض لها الأجيال المقبلة مابقى هناك فكر يبحث فى المصير وما يرتبط به من جزاء ! وإذن فلا عجب إذا ما التقت أفكار الشعراء الثلاثة حول هـذا المعنى الكبير فى بعض ما خلفوا من آثار أدبيـة ؛ آثار تتفق فى جوهر المشكلة ولكنها تفترق فى صب التجربة الشعورية فى القالب الفنى تبعا لاختلاف المدن النفسى

وما يقترن به من تفاوت فى معـدن التعبير . . . إنه اتفاق فى جوهر الشكلة كما قلنـا وعامل الإثارة واحد لا اختلاف عليـه ، ونعنى به القلق الذى يهز النفوس والعقول ويدفعها دفعـا إلى محاولة النوض فى أعماق المجهول . قلق عند بيرون وقلق عند على طه وقلق عند أبى العلاء ، ولـكن مصدر هذه الظاهرة النفسية يختلف عند الشاعر الأول عنه عند الشاعرين الأخيرين ، حين تفسره عند بيرون بأنه فراغ الحيـاة من العطف وحده وحين تفسره عند صاحبيه بأنه فراغ الحياة من العطف والعاطفة .. لقد عاش بيرون فى مجتمع حرم فيه عطف الناس فثار حينا على الله والناس ، وعاش أبو العلاء كل حيـاته وهو محروم من نعمة الشعور بالعطف الإنسانى وبالعاطفة الأنثوية ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى على طه ولـكن فى فترة محدودة من فترات الحياة ، ومثل هذا الحرمان كفيل بأن يهز سكينة النفوس والعقول !

أنور المعداوى

٣ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

العوامل الاقتصادية في سياسة توازن القوى

ألمت بالوضع الدولي إبان بعث سياسة توازن القوى عوامل اقتصادية هامة وللاقتصاد في توجيه السياسة العالمية شأن كبير

ففي أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ أخذ الاقتصاد الأمريكي خاصة والاقتصاد الأوروبي (خارج الاتحاد السوفييتي) يمر في نكسات وضائقات اقتصادية لعينة. ففي أمريكا كان الاقتصاد القومي في سنوات الحرب قد توسع بصورة هائلة. فازداد عدد المصانع وتضاعف إنتاجها إلى أرقام فلكية وأصبحت مقدرة السوق الأمريكي على استهلاك المنتجات الأمريكية محدودة مقيدة والسوق الأمريكي هو المستهلك الرئيسي للانتاج الأمريكي

وكانت الوضعية الاقتصادية في شعوب أوروبا الغربية مزعزعة بسبب الخراب الواسع الذي ألم بذلك الجزء من العالم من جراء الحرب العالمية الأخيرة

وفي آسيا وأمريكا اللاتينية أخذ الوعي الاقتصادي يزداد نموا ويدفع الحكومات والشعوب لأن تلجأ إلى سياسة الاستكفاء الذاتي لتتفادى عودة الاستعمار بألوانه العديدة الاقتصادية والسياسية، ولذلك أصبحت مقدرة الشعوب الآسيوية واللاتينيه على استهلاك المنتجات الأجنبية محدودة مقيدة، وذلك لأن الميزان التجاري في دول آسيا وأمريكا اللاتينية يعتمد على تصدير المواد الخام إلى الدول الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية ليحصل مقابلها على عملة أجنبية تعينه على استيراد السلع والمنتجات الصناعية وأصناف التبادل التجاري الأخرى. فإذا أصيب النشاط الصناعي في أوروبا وأمريكا الشمالية بنكسة فإن حاجته من المواد الخام ستتضاءل، ومن ثم يتضاءل مورد الدول المصدرة للمواد الخام (ومعظمها في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية)، والاقتصاد الدولي الحر حلقة متشابكة الأطراف إذا وهن بعض أجزائها تعرض الكل إلى الوهن

ولم تكن النكسة الاقتصادية العالمية مقصورة على أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية — وبالتالي على آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — بل إنها شملت الاتحاد السوفييتي نفسه ومنطقة النفوذ السوفييتي كذلك. ومثال ذلك سعي روسيا للسيطرة على الاتحاد اليوغسلافي وسعي يوغسلافيا للتحرر من هذه السيطرة وما أدى هذا الصراع إلى قطيعة سياسية تامة بين البلدين

إلا أن أخطار الضائقات الاقتصادية العالمية تختلف باختلاف المناطق والشعوب والنظم الاقتصادية والاجتماعية التي يعيش عليها الشعوب والحكومات

ففي ظل الحكم المطلق — خصوصا إذا كانت التعاليم الاشتراكية وفلسفة الاقتصاد النظم ديدنه يسهل على الدولة أن تضبط التيارات الاقتصادية العاصفة وإن كان ذلك على حساب الحرية الفردية للكثرة الساحقة من الشعب

وفي البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التي لم يكتمل بعد نموها الاقتصادي تكون أضرار الضائقات الاقتصادية مقصورة إلى حد بعيد على برامج الإنشاء والتعمير، فاقتصاديات هذه البلدان اقتصاديات غير معقدة، ومستوى المعيشة بها زهيد على مستوى ضئيل، ومهما ألمت أضرار النكسات الاقتصادية العالمية بهذه البلدان فإنها لن تؤثر إلا تأثيرا محدودا في مستوى المعيشة، ولما كان هذا المستوى ضئيلا ممعنا في الضآلة فإن هذا التأثير لن يزيده ضآلة، فليس في ذلك المستوى بعد مجال للتضاؤل، وإذا استثنينا حالات المجاعات والقحط في بلدان كالهند والصين مثلا فإن معظم المجتمعات الزراعية (كالمجتمعات الآسيوية مثلا) تستطيع في فترات الضائقة الاقتصادية العالمية أن تحتفظ برؤوسها عائمة فوق الماء

أما وضعية المجتمعات في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية

خلال النكسات والضائقات الاقتصادية الشاملة فإنها تكون معرضة لأخطار جسيمة

ففي إبان النكسة الاقتصادية الخطيرة التي ألمت بالولايات المتحدة الشمالية وبأوروبا الغربية في أعوام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ كان على الدول والشعوب هناك أن تختار واحدا من احتمالات معينة لصيانة نفسها من الفوضى الاقتصادية والإفلاس التام

وأحد هذه الاحتمالات أن تسرع الدولة فتسن التشريعات وتطبق رقابة شديدة على الإنتاج الصناعي والنشاط الاقتصادي بأسره، وأن تحدد الإنتاج وتعين الأسعار وتقيد التصدير والاستيراد بشكل يحول الدولة الديمقراطية إلى نظام اشتراكي لأولي الحكم فيه سلطة واسعة قد تتسع فتصبح نوعا من الحكم المطلق. وهذا ما حاولت حكومة العمال في بريطانيا تطبيقه فلم تفلح طويلا بسبب طبيعة السلوك السياسي للشعب البريطاني وتأصل الوعي الديمقراطي فيه، وبسبب تعقد المشاكل الاقتصادية في بريطانيا بشكل لا يسمح بتطبيق برامج الاقتصاد المنظم والاحتفاظ بالحرية الديمقراطية في آن واحد

وثاني هذه الاحتمالات تخفيض مستوى المعيشة بين السكان بتخفيض الدخل القومي للعامل ولصاحب العمل والرجوع بألوان الحضارة المادية القهقرى ووضع حد للتقدم الآلي وتوجيه الشعب نحو التقشف والتخلي عن أسباب الترف. والمتعة التي أصبحت جزءا أساسيا من طبيعة المعاش الذي يعيش عليه الناس في العالم الغربي إجمالا وفي الولايات المتحدة على وجه العموم. وقد استطاعت بريطانيا أن تطبق جزءا من هذا الاحتمال فيما يتعلق بمسألة الدخل القومي ومسألة التقشف إلا أن حكومة العمال البريطانية فشلت في ذلك لأن السياسة الاقتصادية التي اتبعتها في بريطانيا كانت تواجه عقبات جسيمة بعضها راسخ في صميم الوضع الاقتصادي البريطاني والبعض الآخر ناجم عن المنافسة الشديدة التي لقيتها بريطانيا في أسواقها التجارية التقليدية سواء جاءت هذه المنافسة من أمريكا أم من سياسة الاستقلال الاقتصادي والاستكفاء الذاتي التي أخذت تدعمها البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التي كانت فيما مضى منطقة نفوذ اقتصادي لبريطانيا

أضف إلى ذلك كله أن أي دعوة إلى تخفيض مستوى المعيشة سيتطور إلى سلاح في يد الحركة الشيوعية التي تتخذ تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية دلالة على فشل النظم الديمقراطية «الأوروبية والأمريكية»

وثالث هذه الاحتمالات تجديد الحروب الاستعمارية وقيام الدول الصناعية الكبرى بغزو البلدان المتخلفة والسيطرة على الأسواق التجارية الرابحة في الشرق والغرب، وهذا الاحتمال بعيد المنال نظراً ليقظة الشعوب وتيقظ القوميات وحيوية التحرر من الاستعمار في كل مكان

ورابع هذه الاحتمالات أن تتكتل الدول الصناعية الكبرى تكتلا اقتصاديا تاما شاملا وتوزع فيما بينها الأسواق العالمية توزيعا يستند إلى اتفاقات ثابتة بين الدول المتكتلة، وقد نجح الاتحاد السوفييتي إلى حد بعيد في سياسة التكتل الاقتصادي في منطقة نفوذه في أوروبا الشرقية والبلقان والبلطيق وبعد ذلك في الصين وآسيا الوسطى — منغوليا وسينكيانغ

أما دول أوروبا الغربية فقد وجدت نفسها لا تستطيع أن تجهر بهذه الرغبة لأسباب عديدة منها تفوق أمريكا الصناعي الهائل على بريطانيا وفرنسا وخسارة هولندة لجزر الهند الغربية (إندونيسيا)، فمصانع أوروبا الغربية القديمة المنهوكة لعب أطفال بالقياس إلى المؤسسات الصناعية الأمريكية، وجودة الإنتاج الأمريكي وتنوعه وروعة إعلاناته شيء لم تعرف الصناعات الأوروبية في بلادها له مثيلا. ومقارنة السيارات الأمريكية بالسيارات البريطانية والفرنسية مثل على ما نحاول به شرحه هنا

ولذلك فلم يكن لدى الصناعة الأوروبية ما تستند إليه لتساوم أمريكا على اقتسام الأسواق العالمية — هذا فضلا عن أن الأمريكي تاجر لا يرحم، والمنافسة هي عماد النشاط الاقتصادي في أمريكا وبموذج راسخ في السلوك الأمريكي رسوخ عادات الأكل والشرب والنوم

ويبدو أن الاحتمال الأخير (وهو توزيع الأسواق العالمية) قد صادف هوى في نفوس الأمريكان ولكنهم احتاطوا له بشكل

دقيق بحيث يوفر لهم حصة الأسد فى أية مساومة يقومون بها مع دول أوروبا الغربية

وفعلا شهدت السنوات الأخيرة توسعا اقتصاديا أمريكيا جم النشاط ولكنه فى أغلب الحالات على حساب دول أوروبا الغربية وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وهولنده وبلجيكا ، وقدساعدأمريكا على هذا التوسع الاقتصادى كونها مسيطرة على مقدرات ألمانيا واليابان وهما عنصران هامان فى ميدان التنافس التجارى الدولى

وفى الشرق الأقصى حلت أمريكامحل اليابان وهولنده فى سوق إندونيسيا والفلبين ومحل بريطانيا إلى حد ما فى أسواق الملايو وأصبحت المشترية الرئيسية للمطاط والقصدير هناك

وفى الشرق الأوسط قصة التوسع الأمريكى فى البترول معروفة للجميع ، وكان من القدر لبريطانيا أن تحقق هذاالتوسع لنفسها لولاقوة المنافسة الأمريكية والظروف الأخرى التى صاحبت الوضع الاقتصادى فى عالم ما بعد الحرب فى بريطانيا

وفى أمريكا اللاتينية تلاشى تدريجا نفوذ بريطانيا التجارى هناك بعد أن تلاشى قبله نفوذ ألمانيا وأصبحت هذه القارة منطقة نفوذ تجارى وسياسى للولايات المتحدة الأمريكية

وفى شمالى إفريقيا العربية توطد للأمريكان نفوذ اقتصادى طويل عريض بلغ من الأهمية بحيث اضطرت فرنسا أن تخاصم أمريكا عليه أمام محكمة العدل العليا [1]

وفى أواسط إفريقياتسرب رأس المال الأمريكى إلى مستعمرات بلجيكا الغنية بالمعادن الثمينة ومنها معدن الأورانيوم الصالح لإنتاج الطاقة الذرية

واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بفضل هذا النشاط الاقتصادى الواسع أن تدفع مؤقتا عن نفسها أخطار النكسة الاقتصادية الأخيرة التى ألمت بالاقتصاد الأمريكى فى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ١٩٤٩

وكان لا بد لهذا التوسع الاقتصادى الهائل من أن يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية مسؤوليات سياسية ودبلوماسية من النوع الدقيق والخطير

ومع أن فكرة التكتل الاقتصادى بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين دول أوروبا الغربية لم تتبلور فى شكل قانونى (سرى أو علنى) إلا أن انسياق الأموال الأمريكية الخاصة والنشاط الاقتصادى الأمريكى إلى مناطق النفوذ البريطانى والفرنسى والهولندى والبلجيكى قد فرض على أمريكا مسؤولية فعلية فى صيانة النظم السياسية التى تعيش عليها هذه الدول الأوروبية . أضف إلى ذلك صيانة أوروبا الغربية من أخطار الانقلابات الشيوعية سيضمن لأمريكا حلفاء أوفياء يكونون سندا للمبادئ والأيديولوجية السياسية التى يعيش عليها المجتمع الأمريكى ؛ فى تعزيز النظم الديمقراطية لدول أوروبا الغربية تعمير لأسواق تجارية حسنة تستهلك من الإنتاج الأمريكى أضعاف ما تستهلكه البلدان المتخلفة التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى كبلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — فهذه البلدان المتخلفة هى على العموم مصدرة للمواد الخام وليست مستهلكة إلا كجزء محدود من المنتجات الأمريكية الجاهزة

ومن هذه الصورة الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية الشاملة تكونت فكرة المساعدات الأمريكية المالية للدول الأوروبية التى عرفت بمشروع مارشال [2]

والخير أن تفكر مليا فى مشروع مارشال لأن صلته بتطور فكرة الدفاع المشترك وحلف الأطلنطى ومسألة الدفاع عن الشرق الأوسط صلة وثيقة

مشروع مارشال

يقول البرفسور جون وليامز أحد كبار الاقتصاديين (فى البلدان التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا

(١) — رفعت فرنسا فى ١٠ يوليو ١٩٥٢ قضية أمام محكمة العدل العليا الدولية أفهمت فيها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية بفرض حماية اقتصادية على مراكش

(٢) — الجنرال جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة الذى كان أول من أعلن ميلاد هذه الفكرة رسميا من خطاب له فى حفلة توزيع الإجازات الدراسية فى جامعة هارفرد الأمريكية الشهيرة . ثم صيغ إعلانه فى الكنغرس الأمريكى فى (قانون التعاون الاقتصادى الأوروبى) إبريل سنة ١٩٤٨

الأمريكان ورئيس الجمعية الاقتصادية الأمريكية ومستشار البنك الأمريكي المركزي ومندوب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في عدة مؤتمرات دولية : إن الهدف الرئيسي لمشروع مارشال هو تنفيذ برنامج عملي لاستثمار رؤوس الأموال . وهدف هذا المشروع ليس فقط بناء ما دمرته الحرب في أوروبا وإنما زيادة الإنتاج والنشاط الاقتصادي في أوروبا الغربية والشمالية بحيث تتمكن دولها من أن تحفظ الميزان التجاري مستقيما . وهذا يعني مساعدة دول أوروبا الموالية للولايات المتحدة الأمريكية على زيادة الدخل الحقيقي للفرد وللدول الأوروبية ، وهذه الزيادة تشجع الفرد والحكومات هناك على مضاعفة استهلاكه للمنتجات والسلع وتوفر للشعب والدول فرصة لادخار رأس المال اللازم للاستثمار في الاقتصاد المحلي (في الدول الأوروبية) وفي الاقتصاد الأجنبي وأميركا اللاتينية) (٣)

وهذه الأهداف تتمشى مع الصورة التي رسمناها عن الوضعية الاقتصادية في أمريكا وأوروبا وبقية أجزاء العالم (خارج الاتحاد السوفيتي) وهي صورة تشير إلى اختيار فكرة التكتل الاقتصادي بين الدول الصناعية الكبرى تحفظ للأمريكان حصة الأسد وتساعد الدول الأوروبية على ملاقاة نكساتها الاقتصادية مستعينة بزميلة كبرى هي الولايات المتحدة الأمريكية

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت أكثر الناس حماسة لمشروع مارشال ، بل الواقع أن فرنسا كانت أول من نال مساعدات مالية سخية من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في عهد ليون بلوم اليهودي رئيس وزراء فرنسا في السنوات الأوائل التي أعقبت الحرب العالمية الثانية

ومن الطبيعي أن تتحمس فرنسا لهذا المشروع ، ففرنسا هي الدولة الوحيدة من دول أوروبا الغربية التي رفضت اتباع أي احتمال من الاحتمالات العديدة التي واجهتها دول أوروبا الغربية في عالم ما بعد الحرب ، فهي لم تقتد ببريطانيا فتنفذ لونا من برنامج الاقتصاد الاشتراكي المتدل ، ولم تتبع سياسة التقشف والمراقبة الدقيقة التي فرضتها بريطانيا بالاستمرار في استغلال الأسواق المتوفرة لها في المستعمرات الفرنسية — ولفرنسا اليوم ممتلكات خارجية تفوق ما لأي دولة استعمارية أخرى

ولتعلق بأذهاننا هذه الحقيقة — وهي حماس فرنسا الشديد لمشروع مارشال وما استتبع هذا الحماس من نشاط فرنسي لتنفيذ الحلف الأطلنطي والاتحاد الأوروبي للنقد ، ومشروع مارشال ، ومشروع بليفان للجيش الأوروبي كما سنأتي على استعراضه فيما بعد

وهنا يجدر بالباحث أن يفسر حماس أمريكا لمشروع مارشال ولفكرة المساعدات المالية للدول الخارجية إجمالا . وهذا التفسير لا يكون إلا بالتعرف على الفلسفة الاقتصادية النظرية والعملية التي يعيش عليها الشعب الأمريكي . وهي فلسفة «جورج مينارد كينز» الاقتصادية منذ عام ١٩٣٠ حتى الآن

(للبحث صلة) نيويورك عمر حليق

(٣) — راجع بحثين مسهبين للبرفسور وبلاميز في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية عددي ابريل سنة ١٩٥٠ ويوليو سنة ١٩٥٢ عن مشروع مارشال

٣ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الخريطة:

وتسمى أيضاً « الربابة » بكسر الراء ، وهى وعاء من الجلد مثل كنانة سهام الرمى ، توضع فيها القداح . وهى واسعة ليمكن استدارة القداح فيها واستعراضها ، ولها فم ضيق بقدر أن يخرج منها قدحان أو ثلاثة[1] ، أو بعبارة أصح يمكن أن يضيق ويوسع بخيط يشد فيه ، بحيث لا يسمح فى حالة التضييق لخروج أكثر من ثلاثة أقداح

الحرضة

بضم الحاء ، ويسمى أيضا « المجيل » و « المفيض » و « الضارب » ، وهو الرجل المكلف بتقليب السهام فى الخريطة ثم دفعها من فم الخريطة . وكانوا يلفون يده بقطعة من جراب ، لئلا يجد مس قدح يكون له مع صاحبه محاباة . ويشدون عينيه بعصابة ليحولوا بينه وبين رؤية القداح[2]

والحرضة هو الذى يستل السهم بعد أن يبرز وينشز ، ويسلمه للرقيب دون أن يراه

ولا يكون الحرضة إلا ساقطا برما ، يدعونه بذلك لرذالته وسقوطه

قال أبو الهيثم[3] : الحرضة : الرجل الذى لا يشترى اللحم ولا يأكله بثمن إلا أن يجده عند غيره

الرقيب

ويسمى أيضا « رابئ الضرباء[4] » . ويختار فى العادة من الأمناء الموثوق بهم من الرجال ، وواضح أن مهمته هى مراقبة « الحرضة » وإدارة رحى الميسر . ويكون مجلس الرقيب خلف الحرضة ، ليتمكن من مراقبته . وهو الذى تسلم إليه السهام بعد خروجها ليعلم من صاحبها وليعلن اسمه حينما يفوز ، كما أنه يرد السهام الأغفال إن خرجت مرة ويعيدها إلى الربابة ، ويأمر الحرضة بجلجلة الأقداح وإفاضتها حتى يخرج سهم آخر من قداح الحظ

وإفاضة الأقداح : أن يدفعها دفعة واحدة إلى الأمام ليخرج منها قدح أو أكثر

مجلس الميسر

هو نادى القوم يجتمعون فيه فى ليل الشتاء ، وقد أوقدوا نارا وأحضروا جزورهم ونحرها الجازر وقسمها عشرة أجزاء ، بعد أن ترك لصاحب الجزور « الثنيان » وهو ما استثنى لنفسه من الرأس والأطراف فى غالب الأمر ، وبعد أن حفظ لنفسه « الريم » ، كما سبق القول عند الكلام على الجزار

١ — ويحضر الحرضة ومعه الخريطة والقداح ، وحينئذ يتبارى رءوس القوم وأشرافهم فى أخذ القداح، فأعلاهم قدرا هو من يأخذ « المعلى » ذا الحظوظ السبعة ، وأقلهم شأنا هو صاحب « الفذ » الذى له حظ واحد

وذلك أن نظام الميسر مبنى على قاعدة الغنم بالغرم ، أى أن من يتعرض لأخذ أكبر السهام حظا يكون لديه استعداد أن يغرم أكبر الغرم حينما يخيب حظه ، إذ أن الغرم يتناسب تناسبا مطردا مع الغنم . وأما صاحب الفذ فهو إن فاز بحظ واحد ، وإن خاب تحمل مغرم حظ واحد

٢ — وبعد أن يختار القوم سهامهم ويسجلها عليهم الرقيب[5] توضع هذه السهام ذوات الحظ فى الخريطة ومعها السهام الأغفال الثلاثة التى لا حظ لها

٣ — ويؤتى بالحرضة ، وهو المكلف بإجالة القداح فى الخريطة ، ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيلف على يده ، ويسمى ذلك الثوب « المجول » . وإنما يجعل ذلك الثوب على يده ليغشى

---

(١) الميسر والقداح ١٣٢

(٢) الميسر والقداح ١٣٠

(٣) اللسان (حرض)

(٤) الضرباء : جمع ضريب ، وهو ضارب القداح الموكل بها . والرابئ والربيئة هو الرقيب

(٥) وأحيانا يختار اليسر اسما لقدحه غير الاسم المتداول ، تدايلا له . كأن يسميه « المربوع » أو « المدار » . مع احتفاظه باسمه الأصلى . الميسر والقداح ٥٦ — ٥٧

بصره فلا يعرف قدح زيد دون عمرو . هذا بعد أن تلف يده بقطعة من جراب ، مبالغة فى الحيطة . وأحيانا يعصبون عينيه ويلفون يده . وتعصب الخريطة على يدى الحرضة

٤ — ويجلس خلفه الرقيب وقد استدار الأيسار حوله ، ومن خلفهم جمهور النظارة يشهدون ما يكون من ذلك ، وفى هـذا الجمهور طائفة الفقراء ، الذين يحملون بؤسهم فى جهد وإعنات ، تدور أعينهم فوق كومات اللحم ، وتشرئب أعناقهم وأسماعهم نحو الحرضة والرقيب

٥ — وبعد أن يكتمل المجلس يصـدر الرقيب أمره إلى الحرضة أن يجيل القداح وأن يجلجلها فى الخريطة ، فيفعل ذلك مرارا ، فإذا فعل أمره أن يفيض القداح ، أى أن يدفعها إلى فم الخريطة

٦ — وحينئذ يبرز أحد القداح فيستله الحرضة ، وهو إن كان غير معصوب العين لم ينظر إليه فى هذه الحالة ، ثم يناوله الرقيب ، وتحدث عندئذ ضجة من الرقيب يعلن فيها اسم الفائز ، يصيح بأعلى صوته : هـذا قدح فلان ، أو فاز قدح فلان . ذكر ذلك الخليل فى تفسير قول أبى ذؤيب :

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

— فإذا فاز أحدهم أخذ نصيبه واعتزل القوم فأفاض الباقون على بقية الجزور ، فإن شاء ذلك الفائز أن يعود بقدحه سـألهم ذلك ، فإن أحبوا إجابته أجابوه وردوا قدحه معهم واستؤنفت الإفاضة . ويعد هذا العمل مكرمة لصاحب الفائز الذى يأبى أن يظفر ذلك الظفر السهل ، ويأبى إلا أن يعرض نفسه للغرم الذى جانبه فى أول الأمر

ويسمون هذا العمل « التثنية » ، وهو الذى عبر عنه النابغة الذبيانى بمثنى الأيادى فى قوله :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما

٨ — وإذا ظهر سهم من السهام الأغفال أمر الرقيب الحرضة بإعادته فى الخريطة ، ومعاودة الجلجلة والإفاضة حتى يظهر سهم ذو حظ

ولا يكف الحرضة والرقيب عن هـذا العمل حتى يكون مجموع أنصباء السهام الخارجة عشرة أنصباء على الأقل

الغنم والغرم

ليس نظام الغنم والغرم فى الميسر نظاما ساذجا ، بل هو نظام محـكم يدل على ما كان يتمتع به أسلافنا العرب من ذهن وقاد ، وفكر ناضج

وإليك بعض النماذج من أقضية الميسر ، وأحكام العرب فى مغانمها ومغارمها ، وسأعيد هنا ذكر قائمة المغانم والمغارم ليسهل لك عرض تطبيق الأحكام عليها :

ا — صاحب الفـذ ، ونصيبه فى الغنم والغرم (١)
ب — « التوأم ، « « « « (٢)
جـ — « الرقيب ، « « « « (٣)
د — « الحلس ، « « « « (٤)
هـ — « النافس ، « « « « (٥)
و — « المسبل ، « « « « (٦)
ز — « المعلى ، « « « « (٧)

(القضية الأولى)

خرج قدح (ا) ثم قدح (ب) ثم قدح (جـ) ثم قدح (د) ومجموع أنصباء هذه القداح عشرة ، وبذلك يكون الميسر قد تم فكل واحد من أصحابها يأخذ نصيبه ، فيأخذ (ا) عشرا ، و(ب) عشرين ، و (جـ) ثلاثة أعشار ، (د) أربعة أعشار ، ويعتزل كل منهم الميسر غانما ، ويبقى الثلاثة النارمون الذين يضمنون ثمن الجزور ، وهم (هـ) ، و (و) ، و (ز) . ولنفترض أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فتفرض عليهم بالتناسب العددى ، أى بنسبة ٥ : ٦ : ٧ فيغرم (هـ) ٢٠ دينارا ، و (و) ٢٤ دينارا ، و(ز) ٢٨ دينارا

(القضية الثانية)

خرج (ب) و (جـ) و (هـ) فائزين ومجموع حظوظهم ٢، ٣، ٥، أى عشرة حظوظ ، وبذلك تم اليسر ، فيأخذ كل منهم نصيبه ويعتزل ، ويبقى الغرم على (ا) ، (د) ، (و) ، (ز) ونسبة مغارمهم ١ : ٤ : ٦ : ٧

ولنفترض أيضا أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فيغرم (ا) ٤ ، (د) ١٦ دينارا ، (و) ٢٤ دينارا ، (ز) ٢٨ دينارا

(١) الميسر والقداح ١٥٢

(القضية الثالثة)

خرج فى أول الإفاضة قدح صاحب (المعلى) ، ونصيبه ٧ فاستولى عليه واعتزل ، ثم خرج قدح صاحب (المسبل) وحظه ٦ مع أنه لم يبق من أجزاء الجزور بعد المعلى إلا ٣ تتمة العشرة ، فيأخذ صاحب المسبل الثلاثة الأجزاء الباقية بعد نصيب صاحب المعلى ، ويغرم له القوم الذين لم تخرج سهامهم ثمن ثلاثة أعشار الجزور ، استكمالا لحظه ، وتكون غرامتهم فى ذلك متناسبة مع نسبة أنصبائهم فى الغنم لو غنموا

ويغرم القوم الخائبون أيضا ثمن الجزور ، متناسبة غرامتهم مع نسبة أنصبائهم أيضا

وهذا الحكم السهل فى أمثال هذه القضية الأخيرة ، هو الذى ذكره ابن قتيبة . وإنما يلجأون إليه ويرتضونه إذا لم يمكنهم نحر جزور ثانية

فإذا أمكنهم نحر جزور ثانية فإنهم ينتظرون بسائر القداح لا يخرجون منها شيئا بعد أن ظفر صاحب المعلى ، لأنه إن خرج المسبل لم يجد له حظا كاملا ، لأن حظه ستة أجزاء ، مع أن الباقى من الأجزاء ثلاثة

وحينئذ يقفون الإخراج ويعدون جميع الأيسار خائبين ، إلا صاحب المعلى ، ويلزمونهم الغرم فى الجزور الأولى بحسب أنصبائهم من جهة ، ثم يخلقون لهم جميعا فرصة فى جزور أخرى ، فيتحرونها ويجزئونها أعشارا ، ثم يضربون عليها بالقداح ، فإن خرج (المسبل) أخذ صاحبه ستة أجزاء : ثلاثة منها هى الباقية من الجزور الأولى ، وثلاثة من الجزور الثانية . فإن استوى ثمن الجزورين كان صاحب المسبل كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا لأنه غرم ستا وغنم ستا ، فتعادل ماله وما عليه

وبقى من الجزور الثانية بعد المسبل سبعة أجزاء ، تضرب عليها سائر القداح ، فإن خرج (النافس) أخذ صاحبه خمسة أجزاء من السبعة الباقية ، فبقى جزءان

وفى هذه الحالة يبقى قدح حظه أكبر من الجزءين ، وهو (الحلس) ، وله أربعة أجزاء ، فيعدون صاحبه خائبا فى الجزور الثانية يلزمه الغرم فيها بمقدار حظه متضامنا مع سائر الخائبين ، فيتيحون له الفرصة فى نحر جزور ثالثة ، فإن خرج غنم أربعة أجزاء : اثنان من الثانية ، واثنان من الثالثة . فإن استوى ثمن الجزورين كان كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا

وبقى من الجزور الثالثة ثمانية أجزاء ، يضرب عليها بالقداح من بقى حتى تخرج قداحهم موافقة لأجزاء الجزور ، وحتى لايحتاجوا إلى نحر جزور أخرى ، استكمالا لنصيب متوقع لأحدهم

***

هذا هو الدستور الذى سنه العرب لنظام الميسر ، وهو كما ترى وليد طباعهم وعاداتهم ، ووليد حاجتهم البدوية

ولا ريب أن « الميسر » كان نافعا للعرب ، كان نافعا لذوى الحاجة منهم ، لأن العرب فى أكثر ما يقامرون إنما يبغون بذلك نفع الفقراء ، والتوسيع على المحتاجين المعوزين ، وقل أن يطعم الايسار من لحم الميسر ، وإنما كانوا يفرقونه فى البائسين . زد إلى ذلك ما كان يحدثه الميسر من رواج فى سوق الإبل وبيعها وشرائها

ذكر الواقدى أن الواحد منهم ربما قمر فى المجلس الواحد مائة بعير ، فيحصل له مال من غير كد وتعب ، ثم يصرفه إلى المحتاجين فيكتسب منه المدح والثناء(٧)

ولا ريب أيضا أن الميسر كان ضارا للعرب ، فهو أكل مال بالباطل ، وهو كان يدعو المقامرين كثيرا إلى السرقة واغتصاب الأموال والنفوس ، للحصول على فوز رخيص فى ذلك المضمار ، وهو كان مجلبة عظيمة للعداوات والحزازات بينهم ، التى تثيرها المنافسة وحب الذات . وكانت مجالس الميسر مجالا فسيحا للمنازعات والمهاترات ، وميدانا خصبا للهجاء والشتم والإقذاع . هذا إلى ما يكون من إنفاق زمانهم فى سخاء ظاهر ، فيما يشغلهم عن غيره من جلائل الأمور ، والسعى لاكتساب الرزق من شريف الأبواب

ومفاسد الميسر فى عصرنا الحاضر واضحة وضوحا بينا ، مهلكة إهلاكا للنفوس والضمائر ، قاضية على هناءة الأسرة وترابط الجماعة

وصدق الله العظيم إذ يقول : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » ، وإذ يقول : « وإثمهما

(٧) التفسير الرازى (٢ : ٢٢٩)

محنة الأدب فى مصر

للأستاذ منصور جاب الله

إن محنة الأدب فى مصر إنما تتجلى فى هذه الضائقة التى يكابدها الأدباء ، والأدباء المصريون بوجه خاص ، فلقد أتى على مصر حين من الدهر كانت فيه ملتحدا لأدباء العروبة وملاذا للناطقين بالضاد فى سائر الأقطار

ولقد أينعت شجرة الأدب فى مصر ، وتشابكت أغصانها وتهدلت أفنانها ورفت ظلالها حتى كادت تسع الناس جميعا ، ثم إذا بهذه الشجرة الفينانة تذوى أغصانها وتتزايل ظلالها فإذا نحن من الأدب فى صحراء جرداء !

ومنذ بضعة عشر عاما سألنا شيخا من شيوخ الأدب هو المرحوم السيد مصطفى صادق الرافعى عن سبب تمسكه « بوظيفته » الصغيرة فى محكمة طنطا ، وقلنا له : هلا احترفت الأدب وحده ؟ إذن لجنيت من ورائه الذهب النضار ! وضحك الأديب العظيم وهو يقول : هيهات ذهب ما هنالك ... لو اقتصر عملى على الأدب وحده إذن لمت جوعا ، ولما كان لى هذا الاسم المدوى الذى يطالعك فى الصحف صباح مساء !

ولقد حسبنا الأستاذ الرافعى يومها جانحا إلى المغالاة ، أو مائلا إلى ناحية المزاح حتى قام على ما يقول من صميم الواقع شهيد وبصرنا بأدباء من الفحول قصروا جهدهم على الأدب فكان الجوع لهم مشربا وأداما

وقلنا مرة لشيخنا الأستاذ عبد العزيز البشرى — رحمه الله — وهو فى أوج شهرته ومجده : إن أمهات الصحف تراكض خلفك تستكتبك المقال بكذا وكيت ، وعملك الحكومى يحول بينك وبين كثير من وجوه الرأى التى قد لا تأمن حين إبدائها جوانب الزلل ، فإذا أنت تنحيت عن المنصب الحكومى ، أمنت ما كنت تخاف ، وأقبلت عليك جميع الصحف مشتاقة تجرر أذيالها

وأطال الشيخ البشرى الصمت ثم أقبل على يقول فى مرارة : يابنى إن الصحافة إنما تقبل على لأننى فى غنى عنها ، فإذا ما احتجت إليها فسوف تزور عنى ازورارا وتنفر منى نفارا . إن الصحافة — مثلها مثل الدنيا — تقبل على من لا يريدها ، وتطوى كشحا عن مريدها !

ووالله لقد صدق صديقنا البشرى فيما قال ! وإن كاتب هذه السطور لم يتعظ بنصح الخريت المجرب فوقع فى المحظور ودفع الثمن باهظا غاليا

وتحرير الخبر أننى حين كنت (موظفا) حكوميا استكتبتنى صحيفتان كانت لهما مكانة وكان لهما قراء ، وكان الأجر الذى أتقاضاه منهما مجتمعتين يفوق أجرى من (الوظيفة) فطوع لى ذلك أن أهجر العمل الحكومى — بإغراء من إحدى الصحيفتين — فهل يعرف القارئ ماذا حدث بعد ذلك ؟

أدركت الجريدة الأولى أنه لم يعد لى عمل حكومى ، وأن ظهرى أصبح غير مسنود ، فحملتنى على ترك العمل بها ، ولم آس على ذلك كثيرا فقد كان الأجر الذى آخذه من الصحيفة الأخرى كافيا ، بيد أنه لم يمض على هجرى الصحيفة الأولى إلا بضعة أشهر حتى بدا للجريدة الأخرى أن تستغنى عن « خدمتى » وكذلك أصبحت فارغا من العمل فى فترة لا تبلغ العام منذ أن استقلت من الوظيفة الحكومية . وأدركت عندئذ مبلغ نصيحة الشيخ عبد العزيز البشرى من الصدق ، وأن الصحافة بالنسبة للأديب إنما هى كالدنيا بالنسبة لرجل الدنيا

وأتلفت اليوم حوالى فأرى جهابذة الأدب أقلامهم معطلة وكان ينبغى أن يغترفوا الذهب من الإناء الذى يضيق دونهم

أكبر من نفعهما »

وقد أتى الإسلام فى ذلك بعلاج ناجع ، علاج يجتث البؤس من أصله ، ويقتلعه من أرومته ، هو نظام « الزكاة » تؤخذ من الغنى فى رضا من دينه ، وتعطى للفقير فى كرامة من نفسه

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم » . « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

للكلام بقية عبد السلام محمد هارون

ويتسع لصعاليك الصحافة على حد تعبير المرحوم الأستاذ مصطفى الرافعي ، أو هلافيت الصحافة بتعبير الأستاذ العقاد !

ولو كان للأدباء حظ ، أو لو كان للأدب ذاته كيان مادى لاعتمد على هذا الكيان أمثال العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم فإن الأدب الصحيح كان خليقا أن يحمل على متنه هـذا الثالوث العظيم ، فلا يحتاج الأول لأن يكون عضوا فى الشيوخ ولا يحتاج الثانى لأن يكون وزيرا ولا يحتاج الأخير لأن يكون مديرا لدار الكتب ،

إن الأدب لم يستطع أن يحمل هؤلاء الأدباء الأفـذاذ فى سفينته الجارية ، بله أدباء الدرجة الثانية ، وأدباء الطبقة الثالثة ومن دونهم

والصحافة الآن هى الوسيلة لنشر الأدب ، ذلك لأن الجريدة اليومية أو المجلة الأسبوعية تكون عادة فى متناول العامة لرخص ثمنها ، وليس كذلك الكتاب الذى لا يتداوله فى العادة إلا خاصة المتأدبين ، ولكن الصحافة جنت على الأدب ، أو جنت على « فنيته » كما قال الرافعى ، فلم يعد الأديب هو الذى يوجه القارئ كما كان الأمر من قبل ، وإنما صار القارئ أو صاحب الصحيفة هو الذى يوجه الكاتب الأديب ، فقد أمست الصحف مثل حوانيت البدالين والبزازين ، يقبل عليها « الزبائن » بمقدار مافيها من تزويقات ومظاهر خلابة لا غناء فيها ولا طائل من ورائها ، ذلك لأن قارئ اليوم لا يحب الدسم ولا الطعام المركز ، وإنما هو يقنع بالشطائر الخفيفة وإن كان ضررها على الصحة بليغا ، ونقصد بالصحة صحة العقل والذهن ، ذلك لأن جيل هذه الأيام إنما يعنى بصحة الأجسام ويطرح صحة العقول !

وكذلك انحطت الصحافة بالأدب ، والأديب الناجح هـو الذى يجارى الجمهور ويتملق غرائزه ، فإذا عدمت الجريدة هـذا النـوع من الأدباء فإنهـا لا تعدم (المخبر) الذى يجئ كل يوم بأبشع أحداث الجنايات ، وأطرف أخبار الطلاق

وإنى لأذكر أن أديبا نابها انتسب إلى إحـدى الصحف ، وسمعت أحد الملتين يقول : إنه لا يصلح لهذا العمل ، فتساءلت لماذا ؟ فقيل لى : لأنه أديب — كذا والله ! — فهتفت : ياقوم أفيكون المقتضى مانعا ؟ ولقد كان الأمر كذلك فى الواقع ، فلم تمض إلا بضعة أشهر حتى استغنت الصحيفة عن الأديب المشهور واستعاضت عنه بشاب أمى لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه إخصائى فى أنباء الفضائح والتشهير والتشنيع !

ومنذ أشهر اتصل بى أن أديبا لامع الاسم موفور الكرامة سوف يعين رئيسا لتحرير إحدى الجرائد ، فاستبعدت الخبر قياسا على ما علمته من التضاد بين الأدب والصحافة . وصح حدسى ، فإن أديبنا سـئل فى ذلك فأجاب ونعم ما أجاب « إن الصحيفة التى أكون رئيسا لتحريرها لم تخلق بعد » ذلك لأن الصحافة لا تبغى أن يديرها الأدباء ، وإنما تريد أن يكون الأدباء تبعا لها . وصدق حدسى مرة أخرى حين اختارت هذه الجريدة لرئاسة تحريرها صعلوكا من صعاليك الصحافة !

* * *

أما بعد ، فإن الأدب فى مصر يعانى اليوم محنة بالغة الشدة . ولست فى هذا متشائما ، ولا أحب أن يشيع الشؤم ، وإنما أريد أن أبصر رعاة العهد الجديد بمحال الأدب الذى هو عماد كل أمة ، فالأدب هو ضرام الثورة وشعارها ، ولو بقيت سوق الأدب على كسادها ، وانصرف الأدباء عن غشيانها ، فقل على الأمـة العفاء ثم العفاء !

منصور جاب الله

ذكرى الشاعر

صالح على شرنوبي

للأستاذ محمد صبرى على سليم

كان لزاما على أن أكتب هذه الكلمات بعد أن صرنا على بعد عام من مصرع شاعرنا الشاب صالح على شرنوبى .. ففى مثل هذه الأيام من عام مضى ، صعدت روح صالح إلى بارئها إثر حادث أليم

... كان صالح رحمه الله شاعرا مرهف الحس ، مشبوب العاطفة ، قوى الإحساس ، ولقد عرفته طالبا بالقسم الثانوى بمعهد طنطا — وإن لم أره — وكنت حينئذ طالبا بالقسم الابتدائى فى نفس المعهد . عرفته من قصائده الحماسية التى كان يطالعنا بها فى مجلة « الفكر الجديد » وكان يصدرها فى ذلك الوقت الأستاذ حلمى المنياوى . وذات يوم بحثت عن المجلة فلم أجدها ، ولما تساءلت عن احتجابها علمت أن الرقابة صادرتها لأنها نشرت قصيدة ثائرة لصالح . وبعد ذلك بأيام توقفت المجلة عن الصدور ، لأن ولاة الأمور وقتذاك زعموا أنها تحض على البادئ الهدامة . . وظللت بعد ذلك أقرأ لصالح فى مختلف الجرائد والمجلات ، وكان إعجابى به يزداد كلما قرأت له . . ذلك لأنه لم يكن شاعرا كبقية الشعراء ، بل كان له مذهب خاص فى الشعر . استمع إليه فى قصيدة « أختى » حينما يصور لك حياة أخته البلهاء التى جنت عليها الأقدار فحرمتها نعمة الإدراك :

وتقول أمى حين تلقاك يا ليت قلبى ما عناك
أوليت مهدك كان مثواك
لك فى بنات الحى أتراب عرسانهن لهن أحباب
فأقول والقـدور غلاب
قد خانك أنت الحظ يا أختى

فهل رأيت شاعرا بلغ فى دقة التصوير والتعبير مابلغه صالح ؟ لقد كان ذات ليلة فى قهابة السينمائيين ، ونظر حواليه فرأى امرأة فى خريف العمر تجلس وحدها مطرقة مفكرة . ولما سأل عنها قيل إنها كانت فى ربيع عمرها تلعب بقلوب الرجال ، أما اليوم فليس فيها ما يسر العيون . وراقبها صالح مدة ، ثم كتب قصيدته « أطلال راقصة » التى يقول فى مطلعها :

أطرق أطرق فقد ضمك الليـ ل وألقى عليك ثوب ظلامه

إلى أن يقول :

لم يعد فيك ما يسر العيونا فاعذرى العابثات والعابثينا
وإذا أيقظت شجونك حورا . وأوحت بقبحك الشامتينا
فاسخرى من جمالها وصباها واحقريها بكثرة العاشقينا
أوعظيها فرب شيطانة منكن قالت فأبكت الواعظينا

وفى قصيدته « أشواق الربيع » تراه يخاطب تلك المجهولة ويسألها أن تعود إليه ، فهو غريب القلب والدار فيهتف :

تعالى يا ابنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراما تاه فى دنيا الصبابات
تعالى طهرى بالحب آثامى وأوزارى
تعالى فأنا وحدى غريب القلب والدار
طريدا مثل أحلامى شريدا مثل أفكارى

ويلح عليها أن تسرع بالعودة إليه ، فقد يخنقها الترب ولم يتمتعا بالحياة ، فيكرر هتافه :

تعالى نخلق الحب فقد يخلقنا الحب
فقد يخنقنا الترب ولم نعشق ولم نصب

وتراه ينظر إلى الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويلغ بعضهم فى دم بعض ، فيشمئز ويتألم ويثور ، وتتمثل ثورته فى قوله من قصيدة « السراب الخالد » :

وحوالى من بنى الطين أشباه قطيع مشرد فى يفاع
دعهم مأوهم وراعيهم الذئب وأعراضهم سفوح المراعى

ويحزنه من بنى الطين أنهم لا يحسون الجمال ولا يتذوقون الحسن فيقول :

كلما رن مزهر أو شدا شاد أعاروه ميت الأسماع
ألهذا القطيع أنفق أيامى وتفنينى الليالى الحزينه

سليمان العبسى
فى ديوانه « مع الفجر »
للأستاذ أحمد الفخرى

هـذا البلبل الصداح فى جنائن الهوى يشدو تارة ويشكو طورا ، ولـكنه فى كلتا الحالين لا يستطيع إلا أن (يغنى)

ألحان الحياة ، وما الحياة إن لم تكن نشوة حب ، وخفقة قلب ، أو لوعة تبعثها اللهفة إلى تلك النشوة ، والحنين إلى ذلك الخفقان ؟

أنا أهوى الألحان نبض حياة
ودموعاً ... طروبة العبرات . .
وجراحاً . . . تلف بالبسمات
لا نواحا ميتا . . . على أموات
لا عيوناً تسيل فوق الرفات
أنا أهوى على رنينك عودى
أن أحس اختلاجة الجلمود

* * *

ولو شئت أن أطوف بك فى رياض هذا الهوى — رغم صغر حجم الديوان — لطال بنا المطاف ولتحيرت والله أين أقف بك ، ولـكن حسبنا هـذه الباقة ففيها من الشذى والحسن مايدلك على نضارة رفيقاتها وجمالهن . ولقد رأيت معى كيف نسقها صاحبها وكيف رسم فيها من (الحضرى) العف صورة لأنبل العواطف وأرقها وأعنفها وأوسعها حتى لـكأن الـكون كله محب وحبيب ...

وهذه سمة الشاعر العبقرى الذى يتصل فى وجدانه بأرحب ما فى العالم ويحلق بخياله إلى أعلى ما فى السموات ، ينهل من معين جمالها ويرشف من خمر سنائها ويبادلها حبا بحب ، فيسكب عليها من فؤاده ما ينطق الجامد منها حتى لـكأن هـذا الوجود كله قلب ينبض وكبد تهفو وعاطفة تتأجج ، وهو يجيد تصوير الطبيعة ولـكن لا بالألفاظ الجوفاء والصور الجامدة وإنما هى فى ريشته إنسان يحس ويحب ، ويسعد ويتألم .. وستخلد الطبيعة وستخلد معها صورها الرائعة هذه ..

أنشد معى هذه الأبيات :

الصخرة النرق بأحلامها تحس مثلى وحدة قاتله
هذى خطانا لم يزل وقعها وشوشة فى سمعها مائله
تسألنى الصخرة ياطفلتى عنك وترتد معى ذاهله

* * *

ألم نـكن نرسو على شطها طفلين مثل النغم الشارد

ألتلك الأيام أسحق عمرى وأغنى ألحانى الفتونه

وهو يذكر بالخير جميع الناس ، حتى أولئك الذين التفوا حوله يوم أن ابتسمت له الحياة ، فأخلص لهم ، ثم تنكروا له وانفضوا من حوله عندما تنكرت له ، فهو متسامح أبدا لا يعرف قلبه البغضاء ، يتجلى ذلك فى قوله :

أيها الراحلون عنى رويدا فمن الهجر ما يكون حراما
كنت يوما وكنتمو ثم شئتم ما أرانى قبل الختام الختاما
لم يعد لى من حبكم غير أحلام صداها يشتت الأحلاما
ذكريات أبكى لها وأغنى وهى لى بعدكم هوى وندامى
سوف أحيا لـكم فإن مت يوما فاحفظونى فقد حفظت الزماما

فبوركت يا صالح إنك فنان ملهم . .

لقد عشت مخلصا لفنك كل الإخلاص ، ووفيا له كل الوفاء . . ففى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الـكريمة التى ما حملت فى حياتها حقدا لإنسان . . ويا دولة القريض العزاء

أخى .. عزيز على أن أكتب فى يوم ذكراك ، وقد كنت أود أن أكتب فى يوم زفافك ولـكن .. ولـكن هكذا شاءت الأقدار . . على أن مما يعزينى أن شعرك سيظل خالدا على ممر الأيام ، ينير الطريق للمدلجين الحائرين

أخى .. طبت فى مثواك ، وسقى الله ثراك ، وسلام عليك فى الخالدين

محمد صبرى على سليم

في قبلة حالمة إن أضع ... وإن تضيعي فعلى ساعدي
تبارك الحب فكم أرعشت ... يمناه .. قلب الحجر الجامد . .

* * *

واسمه يرثي العندليب ويشكو مع الروض فقدانه . .

الوردة الحمراء... ياطائري ... تشكو إلى الأنسام أشواقها
عاشت على ترجيعك الساحر ... قد فتحت للنور أحداقها
تلك شظايا قلبك الشاعر ... تخضب بالحمرة أوراقها
على دم المبدع والثائر ... تركز أوراد الربى ساقها

* * *

سلها أيحلو رقصة أو يطيب ... بعدك لحن للهوى والنسيب ؟
ستهمس الوردة : أين الحبيب ... ويهتف الغصن وما من مجيب..
ماضر لو غنيت حتى المغيب ... ياشاعر الأطيار ياعندليب ؟

* * *

كنت إذا ما الفجر لف الظلام ... بالشفق الوردي . . فوق الربى
رقرقت في سمع الزهور النيام ... من اللحون .. المعجب المطربا
فاستيقظ الوجد ، وأج الغرام ... في كل قلب نابض بالصبا
أين الأغاريد وأين الهيام ... إني أرى روض الهوى مجدبا

* * *

أعد إلى هذا الوجود الكئيب ... بنغمة ، رد الشباب القشيب
ماحطمت لنز الوجود الرهيب ... إلا يد الفنان ، ياعندليب
ماضر لو غنيت حتى المغيب ؟

هذا هو حب سليمان ، وهذا هو غزله . نفس مرهفة الشعور ، وعواطف كريمة يصوغها بأرق أسلوب وأمتنه ، وذلك من الصعوبة بمكان ! إذ لا تكاد تتيسر هذه السلاسة وهذه العذوبة في هذه القوة إلا للقليل من كبار الشعراء ...

وأما المعاني والصور الفنية والتجارب النفسية فما إخالك إلا معي في الإعجاب بهذا الخيال الخلاق الذي صورها فأحسن تصويرها . ولكأنه والله حين يستعمل الكلمة يخلق لها معنى جديدا أخاذا ، يزيده روعة هذا الجرس الوسيقي الساحر ، وهو بحق من أكثر الأدباء سيطرة على اللغة وقدرة على التلاعب بالألفاظ ، حتى لكأن اللغة — كما يعبرون — قد أسلمته قيادها فلحنها أنغاما طروبة أفتن ما تكون في (موشحاته) الرقصة التي انفرد بها وحقق للأندلسيين ما كانوا يرنون إليه . . . ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد في ما عرضنا الكفاية . ولنختم حديثنا عن هذا (الغرض) بهاتين الصورتين القريبتين البعيدتين لندرك كيف تمر الحقائق الجامحة بخيال الشاعر فيخرجها حية ناضرة مفعمة بالحرارة ، مترعة بالظرافة الخفيفة الفطرية التي لم تستطع تلكم المواطف الصاخبة رغم تأججها ، أن تخفي حلاوتها ومرحها : —

أين حقل مائج الزهر طروب ... نتخطاه وقد مال الغروب ؟
ونسيم الريف مغناج لعوب ... يلمس النيات لمسا فتذوب !
طفرت بين الشجيرات القلوب
وانبرت تملى على الزهر كتابا ... من سرور . . وهو يفتر جوابا

* * *

حسناء .. إن تبعدي عني فما غربا ... صوت طروب ، وثغر باسم ، وصبا
وخفة من فؤادي .. خلتها لعبا ... حتى إذا أفهمتني أختها السببا
أيقنت أن الذي غالبته غلبا !؟

* * *

وأما المضمار الواسع الثاني ، والذي استأثر بأكثر اهتمام شاعرنا الفتى فهو مضمار البطولة ، مضمار الوطنية الشبوبة

صبي صغير ، يرتع ويلعب على ساحل الأبيض المتوسط ، تدغدغه الأمواج ، وتداعبه النسمات ، ثم لا يلبث فجأة أن يجد الغاصب المتعسف ينهب وطنه ، ويستأثر بملاعب صباه ، ويشرد أهله ويسلبهم أملا كهم . . ويتشرد هذا الصبي مع المتشردين .. ويترك وطنه مع اللاجئين .. وفي فؤاده نار .. وفي عينيه دمعة أبت عليها حرارة الزفير أن تسيل .. هذا الصبي الملتاع يشب وتشب معه مآسي وطنه فهو أينما تلفت فعلى لواء مسلوب أو وطن موطوء ، وهو أين ألقى بطرفه — فعلى نصل تغذيه (صلة)رقطاء

ليت شعري بعد هذا كيف تخبو هذه الشعلة في فؤاده وكيف يلطف هذا السعير في عروقه ؟ لقد صهرته النكبات وأذابته النوائب ، وصاغته الأعاصير نشيدا عاصفا ولحنا ملتهبا ، يهتف بالضاد ليله ونهاره ، ولا يعرف مللا . . ولا يكاد يشغله عن مآسيه فيه مؤاس حتى ولو كان حبيبه ومالك قلبه

هذا هواى . ولن أفنى به شغفا مهما استبد ومهما رفدمى عصفا
قد كان حسبى . . لولا أن لى هدفا عاهدت يوما عليه النبل والشرفا
حسناء . . قد سارت الدنيا وقد وقفا . .
شعبى تمزقه (أطماعهم) شعبا . . فهل تلومين ذا روح إذا غضبا ؟

* * *

فما هو إلا زفرة موتور يريد الانتقام والإيثار ، وهو لو حبسها لأصلته سعيرا : —

ما أردت القريض ، إن هى إلا عاصفات جنت على قيثارى
ثورة . . لو حبست عودى عنها حطمت أضلعى مع الأوتار . .

* * *

وأين لليأس فى هذا القلب الثائر مكان ؟ وهو كلما اشتدت به الزعازع فحسبه أن يلقى نظرة على الماضى وأن ينصت إلى دمه المتقى ليتفجر بركانا يكتسح اليأس ويضيء أملا . .

لفتة ياخيال . . نستلهم الماضى ونسكر على صدى التذكار
لفتة نشهد (الجزيرة) نشوى من سلاف الرسالة المعطار

* * *

أنفضى الموت . . أنت أخصب من أن
تقفرى من مواكب الأحرار . . .
وافتحى للصباح جفنك يا صخراء . .
هذى زماجر « الثوار » . . .
سيعود الوجود يوما إلى الرشد على صوت لجك الهدار . . .

* * *

وسيظل يهزج حتى تتحرك الصحراء ، وينتفض الرمل : —

وأهزج ياصحراء حتى تحركى وحتى تهز الليل أنشودتى البكر
كفى ألماً أن تحمل القيد أمة ولا يشتكى سوط العذاب بها حر
قوافل تمضى من مهازيل أمتى يسيرها ناب ، ويحدو بها ظفر . .
يمر بنا التاريخ غضبان ساخرا ! ويمضى بنوه خاطفين ، وننجر
قوافل من بيض العبيد كأنما على روحهم قفل ، وفى سمعهم وقر
إذا أنت ناشدت المروءة فيهمو تملكهم من طيفك الرعب والذعر

* * *

سأهزج يا صحراء ولتمض صيحتى
إلى كل رمس بات يرقبه الحشر . . .

أينمض كف الموت جفنى وليس فى
بلادى شبر لم نحرره أو متر ؟

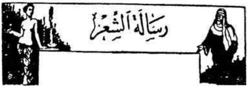
* * *

وأى لوعة مشبوبة فى هذا البيت الأخير ؟ ولكنها ما إن تشتكى حتى يهدهدها الأمل ويطمئنها الشباب :

شباب يغذيهم هوى ، وعقيدة ويجمعهم هم ، ويحفزهم ثار
لنا المجد ، إن نرقد عيون حماته فمن دم أحفاد الحماة له مهر
إذا لم نمش للرائعات من العلى فلا خط فى سفر الحياة لنا سطر
أرى وطن الأحرار قد طال ليله . .
غدا يشرق الصبحان : أليعث والفجر

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى



شعب يتحرر

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مرت على تحريرك الأيام   وغدا تمر بذكرك الأعوام
يا أيها الوطن العزيز تحررت   بالجيش فيك مواكب وزحام
كانوا على ظلم الطريق جماعة   قد هدها الإعياء والإظلام
يتخبطون على ظلام دامس   لم تتضح فى ليله أعلام
مشت المظالم فيه وهى كثيفة   وسرى الفساد إليه وهو قتام
واندك من صرح الفضائل حائط   وانهد من أركانهن دعام
وجرت أمور بالبلاد عظيمة   ومشت خطوب بالبلاد جسام
ضاقت بأحرار النفوس صدورهم   وتحطمت عدادها الأقلام
فالهجس حتى فى الضمير محرم   والهمس حتى بالشفاه حرام

وبدا الصباح على البطاح مضوئا   فانجاب منه عن البلاد ظلام
هى آية لله وهى رعاية   قدسية قد حفها الإكرام
هى ثورة بيضاء لم يهرق دم   فيها ولم تسكب بها آثام
تركت بناء البغى وهو مصدع   دكت قواعده فليس يقام
دهمته وهو يظن أن مناله   فوق الظنون فماله استسلام
أرخت له الأيام فى طغيانه   يا ويل من أرخت له الأيام
ظن الحوادث عنه نائمة ولم   يعلم بأن الله ليس ينام
وبنى على الإفساد حائط ملكه   هل للبناء على الفساد دوام ؟ ؟

يامطلع التحرر وجهك ضاحك   والصبح مؤتلق به بسام
بك أنقذ الله البلاد فلم يعد   فى حكمها ظلم ولا إجرام
تمشى العدالة فيك وهى حقيقة   ويسود فيك الحق وهو قوام
ومضى بموكبك الفساد وعهده   وتحطمت بقيامك الأصنام
وعنت وجوه الظالمين لواحد   تعنو الجباه له وتحنى الهام
الله جل جلاله متجبر   والحاكمون بأمره أقزام ...

ولى زمان الطامعين ولم يعد   يا مصر للأقطاع فيك زمام
لا عاد عهد لم تكن تجرى به   بالعدل أرزاق ولا أقسام
قد أتخمت فيه بطون جماعة   مصوا دماء الكادحين وناموا
رقدوا على شهواتهم وتنبهوا   فكأن ذلك كله أحلام
أعمتهم الشهوات عن أقدارهم   فهم الأناس وغيرهم أنعام
يا أيها النوام فى غفلاتهم   الجيش قام فأوقظ النوام
واعشوشب الأمل الجديد وأخصبت
أرض بها قعد الطغاة وقاموا
وتفتحت آمال شعب مثلما   يتفتح النوار والأكمام
وتصححت أوضاع جيل ناهض   جارت على آبائه الأحكام
وبدت على الوطن المريض نضارة   من بعد ما فتكت به الأسقام
تمشى الكرامة فيه وهى عزيزة   ويرد فيه لأهله الإكرام

يا عهد تحرير البلاد وطهرها   منا إليك تحية وسلام !
لك فى الضمير مكانة مرموقة   لك فى النفوس رعاية وذمام
عهد تميزه الفعال فلم يعد   فيه لتزويق الكلام مقام
يزدان بالتنفيذ فى أفعاله   ويشده التصميم والإقدام
قل الكلام به ، وخير حكومة   ماقل فيها بالوعود كلام
مشت الخطى فيه سراعا مثلما   تمضى إلى غاياتهن سهام
بوركت من جيش تبارك خطوه   وتحركت برجاله أعلام
قاموا على أعقاب ليل هادئ   والحاكمون الظالمون نيام ...
غضبوا فضج الكون من غضب لهم
واهتزت الأفلاك والأجرام
وتهدمت للظالمين منازل   وتقوضت للمفسدين خيام

وجلا الصباح الكون أعظم جلوة
وعلا النشيد كأنه أنغام !
والجيش سباق إلى أهدافه   متحرر برجاله مقدام
فيه الشباب اللهمون كأنهم   يحدوهمو فى الثورة الإلهام
خطواتهم يصغى الزمان لوقعها   ويسجل التاريخ والأهرام !
يا جيش مصر ويا محرر نيلها   لك فى النفوس الحب والإعظام
أنقذت مصر من الفساد فلم يعد   فيها لدولات الفساد قيام ...

محمد عبد الغنى حسن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب الرمزي

يزور مصر الآن السيد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية علماء الجزائر . وقد اجتمعنا به فى ندوة الشورى مع طائفة من الشخصيات العربية والمصرية منها السيد الفضيل الورتلانى والكولونيل عبد الله التل والسيد الوزانى الزعيم المراكشى والأستاذ الشافعى اللبان والسيد محمد على الطاهر صاحب الشورى ودار الحديث حول ما تقوم به جمعية علماء الجزائر من نشاط فى سبيل نشر العلم والثقافة بالوسائل الشعبية فى الجزائر ، وقال السيد الإبراهيمى إن هناك ٤٠٠ مدرس هم مجندون لتثقيف الشعب ، وإنهم أشبه بالعباد المتجردين فى سبيل أداء هذا الواجب المقدس

ومما يذكر أن جمعية العلماء التى أنشأها السيد عبد الحميد ابن باديس وخلفه على قيادتها السيد الإبراهيمى بعد وفاته ، هى إحدى الدعامات الضخمة القوية التى أفزعت الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا وأقضت مضجعه

فقد عملت هذه « الحركة » منذ فجر نشأتها على مقاومة البدع التى انتشرت فى المغرب وأعان عليها الاستعمار ، ودعت إلى العودة إلى الإسلام فى منابعه الأولى ؛ ووقفت للطرق الصوفية بالمرصاد على أساس أنها مصدر الشر والستار الذى يخفى خلفه الاستعمار ويتخذ منه سبيله إلى تفسير بعض الآيات القرآنية التى تدعو إلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر تفسيرا خاطئا

ولقد تطرق الحديث إلى « الوسائل » التى يستطيع بها رجال جمعية العلماء إعلان آرائهم دون أن يقف الاستعمار فى وجههم ، فقال لنا السيد البشير الإبراهيمى إن الأدب الرمزى هو الوسيلة الوحيدة لهذا ، وإنه قد ابتدع لونا من فنون الأدب هو «سجع الكهان » . . . استطاع عن طريقه أن يفصح عن كثير من آرائه الجريئة الحرة فى الكثير من المسائل والأشخاص . وكانت جريدة البصائر التى تصدر فى الجزائر ميدانا لهذا اللون الجميل من الأدب

وقد روى لنا أكثر من أرجوزة من هذا السجع ، صور فيها رأيه من كثير من القضايا العربية والإسلامية ما كان من المستطاع الإشارة إليها عن طريق الكتابة العادية

وليس من شك أن اللغة العربية كانت خلال حياتها الطويلة ظهيرا لأصحاب الآراء الحرة فى إذاعة آرائهم وتسجيلها عن طريق الأدب الرمزى فى الأوقات التى كان مجال فيها بين الأحرار وبين إعلان آرائهم عن طريق الكتابة الصريحة . .

وليس قصائد اللزوميات التى أنشأها المعرى ، وليست رسالة الغفران والفصول والغايات جميعها إلا من هذا الأدب ، وقد كان صاحبها لا يستطيع أن يقول للناس كل شئ فى صراحة فكان يضمن شعره هذه المعانى ويدعها ليفهمها من يفهمها على الوجه الذى يريد

وليس كتاب البخلاء وغيره من آثار الجاحظ إلا « أدبا رمزيا » قصد به الجاحظ إلى تصوير بعض الشخصيات التى كانت تعيش فى عصره ، ولم يكن يستطيع أن يجهر بهجائها وإعلان الخصومة لها فوجد فى هذا الأدب الرمزى منفذا إلى الحديث عنها

وقد اتخذ هذا الأسلوب من الأدب الرمزى كثيرون من الكتاب فى عصرنا الحديث فى مقدمتهم الدكتور طه حسين . وهو يقول فى مقدمة كتابه « المعذبون فى الأرض » الذى صدر أخيراً

« هذا الأدب الجديد الذى أنشأته حكومات الطغيان إنشاء حين اضطرت الكتاب إلى العدول عن الصراحة إلى فنون من التعريض والتلميح . ومن الإشارة والرمز ، حتى استقل هذا الأدب بنفسه وتنافس القراء عليه تنافسا شديداً ، وجعلوا يقرأون ويؤولون ، ويناقش بعضهم بعضا فى التأويل والتحليل واستخراج المعانى الواضحة من الإشارات النامضة . وانظر إلى ما نشر صاحب هذا الكتاب من جنة الشوك وجنة الحيوان ، ومرآة

الضمير الحديث ، وأحلام شهر زاد فلن ترى إلا رمزاً لظاهر كنا نبغضها ولا نستطيع أن نتحدث عنها فى صراحة أثناء تلك الأيام السود : فكنا نؤثر الغموض على الوضوح ، والرمز والألغاز على التصريح ، والإشارة والتلميح على تسمية الأشياء بأسمائها ، وكانت حكومات ذلك العهد ورقابتها تقرأ فلا تفهم فتخلى بين الكتاب وما يكتبون ، وتخلى بين القراء وما يذاع فيهم من ذلك الأدب الجديد »

اللهجات العربية

ومما دار من حديث فى ندوة « الشورى » ما أثاره الأستاذ الشافعى اللبان من أنه كان خلال فترة الصيف فى جينيف لا يفهم كثيراً اللهجات العربية المغربية ، ومما قاله فى هذا أنه استمع إلى بعض أهالى المغرب وهم يتحدثون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يفهم منهم كثيراً مع أنهم يتكلمون باللغة العربية وكان يسأل فى هذا السيدين الوزانى والفضيل

وقد أجاب الأستاذ الفضيل على هذا بأن فى اللغة العربية كلها حوالى ١٥٠ كلمة هى التى تحول دون فهم أهالى البلاد العربية بعضهم بعضا وهى ليست كلمات عربية بالطبع ، وإنما هى كلمات عامية أو لهجات

وبينا يعتبر المغربيون أنفسهم يتكلمون اللغة العربية الخالصة ، لا يجد المصريون والذين هم فى مثل ثقافة الأستاذ الشافعى اللبان قدرة على فهم الكثير من أحاديث أهل المغرب ، ومثل هذه المشكلة تقع بالنسبة للمغربى والشامى أو بين المصرى والعراقى

ومما قاله السيد الفضيل الورتلانى : أنه أحصى أثناء إقامته فى بيروت حوالى ٦٠ كلمة (لبنانية — سورية) هى الحائل بين فهم المغاربة للهجات الشوام . وكذلك فى لغة المغاربة حوالى ٤٠ كلمة ؛ فلو أن كتابا وضع فى بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين التشابه منها فى اللهجات المختلفة لأمكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوى ولأصبح العراق مفهوما فى المغرب والمغربى مفهوما فى مصر

محمد فريد « المؤرخ »

فى الأسبوع الماضى ، كان موعد ذكرى محمد فريد « قديس الوطنية المصرية » كما أطلق عليه ذلك الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير ، وفريد خليق حقا بهذا اللقب فقد ضحى فى سبيل بلاده بكل شئ وكان علما خالدا على التضحية فى تاريخ مصر والشرق جميعا

.. ولكن « محمد فريد » يدخل فى هذه الصفحة أيضا من باب الأدب ، فقد كان كاتبا من أعلام الكتابة والبيان ، ومؤرخا غاية فى القوة والتثبت والوضوح وهى أبرز علامات الكاتب الناضج والمؤرخ المنصف

حدثنى أول أمس الأستاذ محمد على الطاهر المجاهد العربى وصاحب الشورى ، وقد رأيت معه كتابا ضخما يعنى بتجليده ، وتغليفه ويبذل فى ذلك جهدا كبيرا ؛ فلما سألته عنه قال هذا كتاب قرأته فى خلال ثلاثين عاما ، مرتين.. وأنا أقرأه اليوم للمرة الثالثة

قرأته سنة ١٩٢٢ فى طبعته الأولى وسنة ١٩٣٥ فى طبعته الثانية وأنا اليوم أقرأ طبعته الثالثة ، إنه كتاب الدولة العثمانية الذى ألفه قديس الوطنية المصرية محمد فريد وهو من أوفى الكتب التاريخية فى هذا الباب

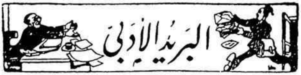
وذهب الأستاذ الطاهر يصور الكتاب ومؤلفه فى صورة رائعة حية ، تدل على مدى تقديره لهما

وإذا ذهبنا اليوم نسأل عن محمد فريد فى محيط الحياة المصرية لم نجد له أثرا ! فها هى ذكراه تمر ، ثم يكتب فيها إلا فصل واحد فى جريدة اللواء الجديد

وإذا أخذنا ننظر إلى مجموعة التماثيل المنثورة فى أنحاء القاهرة لم نجد بينها مع الأسف تمثالا لهذا الزعيم الوطنى ، بينما نجد تماثيل لآخرين كانوا ولا شك أقل منه وطنية وبطولة وتضحية

وإنا لنرجو فى هذا العهد الجديد أن يتاح لهؤلاء الأبطال أن يستردوا ما فقدوه خلال عهود الظلم القديمة ... من مكانة هم جديرون بها وخليقون أن يوضعوا فيها بعد أن اعتدلت الموازين

أنور الجندى



ضيف كريم

يزور القاهرة اليوم الكاتب العالم الخطيب شيخ علماء الجزائر ورئيس تحرير البصائر الأستاذ محمد البشير الإبراهيمى وهو فى طريقه إلى أقطار الشرق الإسلامى ليلقى رجاله ويدرس أحواله . وقد تفضل الأستاذ فزار إدارة الرسالة فأنسنا بلقائه ونعمنا بحديثه . والرجل أحد الآحاد الباقين الذى يكتبون لغتهم بأسلوب رصين ، ويبرزون فكرتهم فى صورة أنيقة . وهو عميد جمعية العلماء الجزائريين وطريقتهم إلى الإصلاح والجهاد بما أوتى من صدق إيمان وقوة بيان ووفرة علم . ولولا هذه الجمعية لفتنت الجزائر عن دينها ولغتها ووطنها ، فهى فى جانب والاستعمار فى جانب ، والجانبان يتنازعان الأمة الجزائرية كل إلى جهته . وليس بين المتنازعين تكافؤ فى المادة والوسيلة . فإذا قبضنا أيدينا عن مؤازرة هذه الجمعية ساعدنا المستعمرين على أن ينصّروا المسلمين ويبربروا العرب . ولعل الأستاذ الفاضل يكتب كلمة عن هذه الجمعية فى الرسالة ؛ فإن أكثر الناس عنها شيئا

إلى الأستاذ رئيس التحرير

قرأت فى نشوة « نصيب قريتى من الثورة » وكنت من قبل قد قرأت فى وحى الرسالة نصيبكم من الإصلاح ، ففى « وصف مآسى قريتكم من القرى ، وأمتكم من الناس ، وصفا مداده الدمع وكلماته الأنين » وإن فيما حفزتم به المستنيم على اليقظة ، والمتواكل على العمل ، والجازع على الصبر ، والقلق على الاطمئنان ، إن فى كل ذلك وفى غير ذلك من آثار قلمكم — لخيوطا من سدى الثورة ولحمتها

ولئن لم تر العين اليوم من الثورة غير جلتها فإن نسيجها كان بأيد مختلفة قدرها أن تأتلف ، وفى المأمول أن لا تعود فتختلف ، ومن ثم كانت ثورة الجيش ثورة الأمة وكان لكل ذى نفس حساسة فيها نصيب

ولئن كنا فى البداية من ثورة ، نصيبكم فيها الساهمة فى إعزاز الذليل وسيادة الرقيق وتمليك الأجير ، فأحر بكم أن تدأبوا — وقد حثثتم على الدأب — ولا تحرموا الرسالة فى بعض أساييها من بسمات فى مكان سوابق الدمع . وضحكات فى موضع سوالف الأنين

لقد كان لانقطاعكم أحيانا عن الكتابة عذره العاذر فليس بالمغرى وصف المفاسد والمخازى ، وليس بالمشجع إيقاظ النيام . ولقد وعدتم مع بداية النهضة بتجديد الرسالة فى الشكل والموضوع والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر فى الثقافة والحضارة ، كما وعدتم بعودة الرواية أقوى مما كانت عليه — جمال أسلوب — وحسن اختيار — نبل ينطوى تحت هذا الوعد استمراركم على موالاتها بما ينتظره القارئ منكم . وما يرجوه لكم من صحة وعافية

وبعد فلنير كم يقال

علام أقول السيف يثقل عاتقى إذا أنا لم أنزل إذا الحرب شبت
أما أنتم فقد شبت الحرب وأنتم فى ميدانها صائلين جائلين
معقودا لكم لواء من ألويتها

وما انتهت بعد المارك ومعاذ الله أن نرى ولو فى خلال أسبوع من بين أسابيع من ينجو برأس طمرة ولجام — ولو أن رأسه رميت بأشقر مزيد »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاسكندرية أحمد عوض

(الرسالة) أشكر للسيد الفاضل جميل رأيه وحسن توجيهه ، وأدعو الله على أن يعيننى على تنفيذ ما أراد ، وتحقيق ما أمل

ضبة — حبة

علق كاتب حذر — فى العدد ١٠٠٧ الصادر فى ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ من مجلة (الرسالة) النيرة على علمين من أعلام الأمكنة فى بلاد العرب وردا فى مقال عن كتاب (معجم ما استعجم) . يطلق أحدهما على بلدة واقعة فى شمال الحجاز على بحر (القلزم) باسم (البحر الأحمر) والثانى منهل من أعرف مناهل نجد بين بلدتى حائل والجوف (دومة الجندل) فى الرمل المعروف قديما برمل (عالج) . فقال ذلك الكاتب الذى لم يشأ ذكر اسمه الصحيح

١ — (ضبطت قرية « ظبا » بالظاء والصواب — كما أعتقد — أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء)

وأقول الصواب أن تكتب بصيغة ثالثة مخالفة للصيغتين المذكورتين — هي « ضبة » بضاد فباء فهاء . قال ياقوت الحوى في معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٤ الطبعة المصرية : ضبة بلفظ واحدة الضباب إما الحيوان وإما الضباب — اسم أرض وقيل قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام وبحذائها قرية يقال لها (بدا) وهي قرية يعقوب النبي عليه السلام بها نهر جار بينهما سبعون ميلا ومنها سار يعقوب إلى ابنه يوسف عليه السلام بمصر — انتهى كلام الحوى . وضبة القرية هي المقصودة وكل الأوصاف التي ذكرها الحوى تنطبق عليها فهي — ١ — قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام — ٢ — و (بدا) بفتح الباء والدال المخففة (وقد ضبطت في تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٣ ج ١ بتشديد الدال خطأ) لا تزال معروفة باسمها هذا بقرب ضبة وبقربها أيضا (شغب) قرية المحدث المعروف محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري — أول من دون الحديث النبوي — وفيهما يقول كثير الشاعر :

وأنت التي حببت (شغبا) إلى (بدا) ... إلى وأوطاني بلاد سواها

حللت بهذا حلة بعد حلة ... بهذا فطاب الواديان كلاهما

وفي الواديين مياه كثيرة وزروع . وقد كنت أثناء إقامتي في (ضبة) أسمع أهلها ينطقونها بالظاء لا بالضاد ويقولون إن اسمها القديم وادي الظباء فكتبت في مجلة (المنهل) أصوب كتابة الاسم بالظاء بدل الضاد وكتبتها في كلتي عن معجم البكري بها — ولكنني بعد أن اطلعت على كلام الحوى ظهر لي خطآن اثنان — بل ثلاثة — أحدها ماذهبت إليه من كتابتها بالظاء وثانيها : كتابتها بالألف بدل الهاء ، وثالثها : ضبط ياقوت لها بالتشديد كما يفهم من كلامه — والصواب في رأيي التخفيف مع ضم الضاد (ضبة) وكذا ينطقها أهل نجد إلا أنهم يسكنون الحرف الأول كعادتهم في كثير من أوائل حروف الأسماء

٢ — وحاول الكاتب أن يخطئ استعمال كلمة (جبة) اسم المنهل المذكور — لعلتين أبداهما — ١ — سماعه من قبيلة الشرارات كلمة (الجوبة) — ٢ — حكمه بعدم جواز أن تكون مؤنث (الجب) . وفات حضرة المصحح المخطئ أن قبيلة الشرارات لا تسكن تلك الناحية وأنها تقصد بكلمة الجوبة — هي وغيرها من قبائل العرب — الأرض المنخفضة الواسعة أيا كانت ، وفاته أيضا — الرجوع إلى معاجم اللغة والأمكنة — ولو رجع إليها لوجد اسم (جبة) يطلق على هذا المنهل وعلى عدة مواضع في العراق وفي الشام وغيرهما (انظر هذه المادة في القاموس المحيط وهو من أسهل القواميس تناولا وأكثرها تداولا — مثلا) وأما الحكم بعدم جواز تأنيث (الجب) فأمر خارج عن موضوعنا — وهو — في حد ذاته — لم يصادف المحل ولم يستوف الشروط فصار باطلا — كما يقول السادة الفقهاء . وبعد فللرسالة الزاهرة يد بيضاء لما تنشره من كتابات لا تخلو من فائدة ولحضرات القراء تحية طيبة

حمد الجاسر

حول البوصيري

مجلة (الرسالة) هي مجلة العرب جمعاء — يجد فيها كل باحث ومحقق وعالم وأديب ميدانا واسعا لنشر ما يمتع ويفيد القراء . وإذن فليأذن لنا الأستاذ الكبير الزيات بأن نعلق على ما جاء في العدد ١٠٠٧ منها حول البوصيري بهذه الكلمة المجملة التي لا نريد بها إلا بيان الحق المجرد من كل غرض

قال القاضي الفاضل السيد علي الطنطاوي كلمة الحق حينما قال إن شرك المشركين الأولين أقل من شرك بعض المسلمين المتأخرين — لأن أولئك يدعون الله في الشدة — وهؤلاء يدعون غيره فيها ؛ والدعاء من أنواع العبادة التي خلق الله الخلق ليصرفوها خاصة له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . ولكن الحق لا يرضى كل أحد فالأستاذ عبد السلام النجاريري أن قول البوصيري

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

جائز ولا يتناقض مع شيء من أمور الدين بدليل حديث الشفاعة — وللأستاذ المحترم أن يعتقد ما شاء ولكن ليس له أن

يرمى طائفة من المسلمين بما هم منه براء ! فهو يقول (إن الطنطاوى تابع فى تكفيره البوصيرى محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد) فالإمام المجدد ابن عبد الوهاب — رحمه الله — وحنابلة أهل نجد بل كل المسلمين — لا يكفرون إلا من اتصف بالكفر — ولم يثبت عن واحد منهم تكفير البوصيرى . وغاية ما يقولون به ويعتقدونه هو :

(١) أن البوصيرى دعا الرسول والرسول ميت ، ودعاء الأموات شرك (ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)

(٢) لاينكر أحد من المسلمين شفاعة الرسول (ص) تلك الشفاعة التى أوضحها الله سبحانه فى القرآن الكريم وبينها الرسول (ص) (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) . وقال (ص) مجيبا لسائل سأله من أحق الناس بشفاعتك ؟ فقال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه … فالإذن والرضا من الله وإخلاص العبادة له لا بد منها فى الشفاعة

(٣) تكفير المعين لا يجوز إلا من ارتكب شيئا من المكفرات وأصر على ارتكابها بعد إيضاح الحق له ومات على ذلك، وكل مسلم يبرأ إلى الله من أن يصف البوصيرى بهذا الوصف — إذ لا يمكن الجزم بخاتمته . وليكن حسن ختام كلمتنا هذه تحية — من ربى نجد مضمخة بأريج شيحه وعراره للأستاذين الجليلين الطنطاوى والنجار — وشكرا عطرا للقائمين على هذه المجلة الغراء

عبد الرحمن بن دويش



مجنون …

للكاتب الفرنسى جى دى موباسان

أبى مس من جنون ؟ أم أن مابى فيض من غيرة فحسب ؟
لست أدرى من أمر مابى شيئاً ، ولكننى أكابد مر العذاب ،

ومض الألم . لقد اجترمت يداى إثم طيش ، طيش أهوج مجنون ، إن هذا لحق. ولكن ألا تكفى هذه الغيرة الرابية المبهورة، وذاك الحب الثائر الخائن الملعون، وهذا الألم الباهظ المقوت — ألا يكفى كل هذا لأن نأتى إثماً من الأمر وسخفا دون أن ينزع منا إلى هذا السخف أو ذاك الإثم عقل أو فؤاد ؟

أواه ! إنى لآسى وآلم … وآلم من عذاب دائم حاد مفرط . لقد أحببت تلك المرأة حبا سليطاً طاغياً . ولكن أكان حبيها حقا ؟ أعلقتها ؟ كلا ثم كلا ! لقد ملكت على حسى ، وحالت بينى وبين نفسى … أسرت وصرعت ، فكنت فى يدها — وما أزال — دمية . كنت ملك النظرة الخاطفة ، واللحظ الرهيف ؛ أسير الغلالة والقد الدقيق ؛ عبد التبسم والشفاه … وكنت ألهث إذا ما تسلط على هيكلها وتآمر … ولكنها هى ، صاحبة كل هذا ، وكائنة هذا الجسد ، أمقتها وأحقرها وألعنها . فقد كانت كدرة غادرة ، وكانت دنسة ماكرة ، وكانت محط الفساد ومهبط السوء . إنها الحيوان فاسد مثير تخلى عن الروح فتخلت عنه ولم تعد بعد فيه ؛ ولم يعد يسير عقله كما يسير نسيم منعش متطلق .. إنها البهيم الآدمى ، بل هى أحط من هذا وأقذو . إنها ردغة مستوحلة . هى آية من آيات الجمال البض الغريض سكنت دار الخزى والعار

كان اتصالنا فى أول الأمر غريباً جميلا . وكان يقتلنى — بين ذراعيها المفتوحتين أبداً — جنون الرغبة الملحة العاتية . وعيناها كانتا تفغران فى كأنما ألهب حلقى العطش . كانتا سنجابيتين حين الظهيرة ، مشوبتين بخضرة وقت دلوك الشمس ، وكانتا زرقاوين إبان الشروق . ليس بى مس من جنون ، فإنى لأقسم أن كان لعينيها هاته الألوان الثلاثة . فهما فى أحايين الحب زرقاوان ثاقبتان ، يتوسطهما إنسانان كبيران مضطربان ، وشفتاها تقلصهما رعدة محمومة ، فلربما انفجرتا عن طرف لسان ريق أحمر يتحرك كلسان الأفعوان، وجفناها الغضيضان الناعسان تشرعهما فى وناء وهينة ، فتكشف عن نظرة مضطرمة وارية ، كانت تزيدنى جنوناً . وكنت أحتدم غيظاً إذا ما رأيت نظرتها هذه لدى الصاق ، وأرجف حنقاً ورغبة أن أقتل هذا الحيوان الذى تلحف الضرورة فى بقائه

وكان فرعى يهتز لوقع خطاها وهى تتخطر فى حجرتى ؛ وكان قلبى يثب لحفيف ثوبها إذ تأخذ فى خلع ثيابها فتدع ثوباً يقع ، وتخرج منه عارية مخجلة ، وكنت أحس من ريح غلالتها اللاصقة انحلالا رخيا يسرى فى أعضائى وأطرافى جميعاً ...

وشعرت بأنها ملتنى فجأة واجتوتنى . إذ رأيت ذلك فى عينيها يوماً حين أصبحنا ، فقد كان من دأبى أن أحنو عليها كل صباح أرقب نظراتها الأولى . . . وكنت أنتظر — وصدرى يدور به الحنق ويحرجه الكره والاحتقار معاً — أنتظر مترقباً نظرات ذلك البهيم النائم الذى يهيمن على فأنا له عبد ذليل ، ولكن ما تكاد تبدو لعينى حدقتاها الشاحبتان كليلتين سقيمتين إثر الأحضان الأخيرة ، حتى تتقد حواسى ويضطرم كيانى . فكأنما نار تلهبنى فتستنزف كل عزمى وقواى، ولكنها حين ذلك اليوم طالعتنى بنظرة مختلفة حزينة بائسة لا ترجو من العالم شيئاً

آه ! حقا رأيت ذلك وعلمته ، ولقد شعرت به للتو وفهمته ، إذ انتهى كل شئ ؛ انتهى كل ما ترجو إلى الأبد ، وعندى على ذلك الدليل يقوم فى كل ساعة وأخرى ؟

فإذا ما عانقتها صدفت عنى قائلة : « هلا تركتنى إذن ؟ » أو قبلتها فتقول : « إنك لبغيض ! » أو تقول : « أقلنى أجلس حيناً وادعة ؟ ! »

حين ذلك غرت ، ولكن كما يغير الكلاب ... أثارت ما أثارت من ارتياب وكتمان وحيلة . علمت حقا أنها ما عزفت عنى إلا لتفسح مجالا لآخر تذكى عواطفه وتلهب حواسه . . .

غرت غيرة هادرة طائشة مجنونة ، ولكنى لم أكن مجنونا . كلا ! حقيقة كلا ! وانتظرت ، آه ! ثم حنوت عليها ولم يخب ظنى ولم تخدعنى عيناها إذ ظلتا باردتين مثقلتين ، وقد تقول حينذاك : « إن الرجال لتؤذينى وتسئمنى » ، وكان ذلك حقا

غدوت حينئذ غيوراً منها نفسها ، ومن عزوفها ونفورها ؛ غيوراً من فراغ لياليها ووحدتها ؛ غيوراً من حركاتها وإشاراتها ، ومن عقلها الذى أستشعر دائما عاره ؛ غيوراً من كل ما أتوهم وأحدس وأرى . وقد تلقانى صبح ليلة من ليالينا المضطرمة ، بنظرة رضية ناعمة ، كأنما خالطت روحها شهوة فحركت من رغباتها . . . حينئذ يحتدم قلبى حنقاً فتختنق أنفاسى فى صدرى التحرج ، وتصرخ رغبة فى نفسى أن أخنقها ، وأهشم عظمها تحت ركبتى ، وأنشب فى جيدها أظفارى ، حتى تقر بمخازيها المخلة وتفضح أسرار فؤادها الرذول

أبى مس من جنون ؟

— كلا !

فهأنذا قد انتعشت فى إحدى الليالى وانتشيت واستشعرت إحساساً جديداً يخالطها ، وكنت واثقاً من هذا تمام الثقة ؛ فقد كانت تتمتم كما تفعل بعد العناق عادة ، ونظراتها توقدت واضطرمت وذراعاها قد شاع فيهما الدفء والحيا ، واضطرب كيانها أجمع إذ تتحكم فيه الرغبة الثائرة الجموح . وضاعت منه روائح خفية مسكرة ، هى روائح الحب الذى صرع الفؤاد وأعمى البصيرة

وتنابيت ، ولكن أحاط بها انتباهى كالشرك ، ومع ذلك فما كشف لى منها عن شئ

وربثت أسبوعاً ، فشهراً ، ففصلا . والآن رأيت جهومتها قد زالت وتدفقت فيها حمى مبهمة ، ثم استراحت إلى حياة قوامها عناق ، وعهدتها قبل

وفى لحظة وامضة أدركت ! فما بى مس من جنون ! وإنى لأقسم أن ليس بى مس من جنون !

كيف أقص ذلك عليك ؟ كيف فهمت ؟ كيف أبين لك الشئ المبهم المقوت ؟ !

إليك ما نبهنى إلى كل شئ : فى تلك الليلة التى حدثتك عنها كانت عائدة من نزهة على صهوة جواد فسقطت عنه . وقد جلست لتتئد أمامى فى مقعد وثير متوردة الوجنتين ، مخمشة العينين ، مرضوضة الساقين ، صدرها يعلو ويهبط مثل أمواج المحيط . لقد أدركت كل شئ حين رأيتها . إنها تحب ! ولم أستطع أن أخادع نفسى !

حينذاك فقدت شعورى وكرهت أن أنظر إليها . فتحولت إلى النافذة وهناك بصرت بخادم يقود جواداً من عنانه يشبو ويثب . . أما هى فقد نظرت الجواد الفتى الشابى ، وأتبعته بصرها حتى غاب فاستلقت وغفت . . .

وطفقت أبحث طول الليل فى ذلك . وخيل إلى أننى أوغل

فى غموض ما كنت أتوقعه من قبل . ومن زعم أنه عجم عود النساء الأعوج ، وسبر رغباتهن المتضاربة ؟ ومن ادعى أنه فهم تقلباتهن الغادرة ورغباتهن السافلة ؟

* * *

كانت تخرج صباح كل يوم على صهوة الجواد إلى الغاب والسهول ، ثم تعود لاغبة مكدودة فى كل مرة ، كما تفعل عادة بعد أن تسكت عنها نوبة من الحب الطائش . الآن قد فهمت ، فغدوت غيورا من الجواد النهد الكريم ، واجدا على النسيم العاشق إذ يحتضنها بينا تنطلق فى شوط سريع أهوج ؛ وغدوت حاقدا على أوراق الشجر إذ تقبل أذنيها عرضا ، حاسدا لأشعة الشمس إذ تلثم جبينها من بين الغصون ، ولذلك السرج إذ يحملها ويلمس فخذيها البضتين

كان هذا كل ما يسرها ويغويها ، ويطلق أسارير محياها ويغريها ، وكان هذا كل ما يكدها ويضنيها ، فتلقانى متعبة لاغبة إلى حد الإعياء ...

وأزمعت الانتقام لنفسى . وكنت أتلطف معها فى الخطاب متلطفا مدللا ، وكنت أمد إليها يدى لتعتمد عليها حين تقفز عن صهوة الجواد بعد أشواطها الهوجاء المضنية . وكان الجواد يرمقنى ثم يفحص الأرض صبوة وفتوة . وكانت تدلله وتربت على كتفه ، أو تحتضن أنفه اللاهث . ولا تنسى أن تمسح على رأسه وأصداغ فمه المزبد . وكان ريحها العطر يضوع من جسد تصيب منه عرق أعرف أريجه وسط الليل . وكان هذا العطر يختلط فى أنفى بريح الجواد الأصهب

وطفقت أتحين الفرصة وأتربص الدوائر . لقد كانت تسير كل صباح فى أحراج من السدر توغل فى الغاب ... ففى يوم غدوت مع الفجر ، وفى يدى حبل متين الفتل ، وفى صدارى مسدسان محشوان ، كأنى ذاهب إلى مبارزة

وعدوت نحو الطريق التى تحب ، وربطت الحبل فى جذعى شجرتين متقابلتين ، ثم تعقبتها فى الأحراج

وكثيرا ما خبرت الأرض بسمعى . والآن سمعت وقعا رتيبا من بعيد . وبصرت بشئ من بين الأغصان يسبح فى الهواء سبحا . آه ! ... لم أخدع فقد كان هو الجواد النهد الأصيل . وأما هى فقد كانت نشوى من فرط السعادة محمرة الوجنتين . وتبدلت نظرات عينيها فهى الآن طروب لعوب ، وتطلقت أعصابها من الهم واستراحت إلى تلك القسوة المنعزلة

ولما أن كبا الحصان بمقدمه تهشمت عظامه ، وطرح بفتاتى بعيداً فلقفتها بين ذراعى القويتين حينذاك على حمل ثور سمين . وبعد أن وضعتها على الأرض فى هينة ورفق دنوت منه « هو » وقد كان يحملق فينا حينذاك ويحاول أن ينهشنى ، فأطلقت عليه الرصاص فى الأذن فخر صريعا يتشحط فى دمائه الثرة وقتلته . . . كما يقتل الغريم !

ولكنى أنا نفسى سقطت على الأرض ووجهى قد أدمته جلدتا سوط كان فى يدها . ولما أن تأهبت لأن تلهبنى بالثالثة أفرغت فى جوفها الرصاصة الأخرى . .

تخبرنى بربك أ كان ما بى مسا من جنون ؟ !

س . م

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا .
وهي تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة